

تمهيد

فى التعريف بالإمام الدارقطنى وكتابه السنن

الفصل الأول: التعريف بالإمام الدارقطنى

الفصل الثانى: التعريف بـسنن الدارقطنى

obeikandi.com

الفصل الأول

التعريف بالإمام الدارقطني

المبحث الأول: حياته وصفاته

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه

المبحث الثالث: علومه ومصنفاته

obeikandi.com

المبحث الأول: حياته وصفاته

اسمه وكنيته ونسبه^(١):

هو الإمام الحافظ المجوّد شيخ الإسلام، علّم الجهابذة، أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي المقرئ المحدث، من أهل دار القطن^(٢) ببغداد^(٣). ونُسب إليها على غير قياس.

مولده ونشأته:

اختلف في سنة مولده، ف قيل سنة ست وثلاثمائة، وقيل سنة خمس وثلاثمائة^(٤). والقول الأول أرجح، لأن الدارقطني نفسه نص على ذلك، فقد حكى السلمي أنه قال: مات أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج القاضي الفقيه سنة ست وثلاثمائة، وولدت في هذه السنة^(٥).

(١) من المصادر الأساسية في ترجمة الدارقطني: تاريخ بغداد (٣٤/١٢) تاريخ دمشق (٩٣/٤٣) طبقات الشافعية الكبرى (٤٦٢/٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٨٣/٧) سير أعلام النبلاء (٤٤٩/١٦) معرفة القراء الكبار (٢٩٧/١) تذكرة الحفاظ (٩٩١/٣) البداية والنهاية (٣١٧/١١) وفيات الأعيان (٢٩٧/٣). وقد اعتنى بالترجمة له جماعة من الباحثين في رسائلهم الجامعية: منهم الدكتور عبد الله بن ضيف الله الرحيلي في كتابه «الإمام الدارقطني وأثاره العلمية». ومنهم الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر في مقدمة تحقيقه لكتاب «المؤتلف والمختلف» للدارقطني. والدكتور عبد الله بن محمد حسن دمفو في كتابه «مرويات الإمام الزهري المعلة». وقد استفدت مما كتبه إفادات كثيرة ضمنيتها هذا التعريف، وأضفت إليها زيادات حسنة.

(٢) دار القطن: بفتح الدال المهملة بعدها الألف ثم الراء والقاف المضمومة، والطاء المهملة الساكنة، وفي آخرها نون. محلة كانت ببغداد، وذكر الحموي أنها تقع بين الكرخ ونهر عيسى بن علي. معجم البلدان (٤٢٢/٢). وذكر السمعاني (ت ٥٦٢هـ) أنها في وقته أصبحت خرابًا. الأنساب (٤٣٨/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٤٩/١٦).

(٤) حكى القولين الخطيب في تاريخ بغداد (٣٩/١٢، ٤٠).

(٥) سؤالات السهمي (٤٢) والإلزامات والتتبع (ص ١١٦).

ونشأ الدارقطني في بيت علم، فقد كان والده من القراء المشاهير^(١)، ومن المحدثين الثقات^(٢)، فعرض عليه الدارقطني القراءات^(٣)، وروى عنه في السنن عدة أحاديث^(٤).

وكانت بغداد آنذاك تموج بحركة علمية نشطة، تمثلت مظاهرها في انتشار المدارس والمكتبات الحافلة، وانعقاد الحلقات العلمية والمناظرات، وكثرة الأعلام وأئمة الفكر، ومشاهير المحدثين والفقهاء^(٥)، ولا شك في تأثير الدارقطني بالبيت الذي عاش فيه، وبالبيئة العلمية المحيطة به، فكان حريصاً على طلب العلم منذ صغره.

طلبه للعلم:

فبدأ الكتابة وهو في سن التاسعة، وقد تحدث عن نفسه قائلاً: كتبت في أول سنة خمس عشرة وثلاثمائة^(٦). وحاول في صباه الدخول إلى أهل العلم، فكانوا يمنعونهم لصغره فيبكي. روى ابن عساكر عن القواس^(٧) قال: كنا نمر إلى ابن منيع والدارقطني صبيّ خلفنا، بيده رغيف عليه كامخ^(٨)، فدخلنا إلى ابن منيع ومنعنا، فقعده على الباب يبكي^(٩).

(١) ترجم له ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء (١/٥٨٩).

(٢) ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد (١١/٢٣٩) وقال: كان ثقة.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء (١/٥٥٨، ٥٨٩).

(٤) سنن الدارقطني (١/٩٩، ٢٥٢) (٢/١٠٣، ١٧٨) (٤/١٣٣، ٢٠٨، ٢٢١، ٢٤٥، ٢٧٨).

(٥) تاريخ التربية الإسلامية (ص ٣٥٨).

(٦) سؤالات البرقاني نسخة دار الكتب (ق ٢أ).

(٧) هو يوسف بن عمر بن مسرور الإمام القدوة الرباني المحدث الثقة أبو الفتح القواس البغدادي، ولد

سنة ٣٠٠ هـ، وسمع البغوي وأبا بكر بن أبي داود وابن صاعد، وكان من الأبدال ومن مجابى الدعوة،

قال الدارقطني: كنا نتبرك بأبي الفتح القواس وهو صبي. توفي سنة ٣٨٥ هـ. سير أعلام النبلاء

(١٦/٤٧٥) وتاريخ بغداد (١٤/٣٢٥).

(٨) الكامخ: ما يؤتد به أو المخللات المشهية، وهو لفظ معرب. راجع المعرب للجواليقي ولسان العرب

والمعجم الوسيط مادة كمخ.

(٩) تاريخ دمشق (٤٢/٩٧، ٩٨).

وجرت عادة أهل العلم، بأنهم لا يبدءون في الطلب إلا بعد إتمام حفظ القرآن الكريم إذًا فلا بد أن يكون الدارقطني قد أتم حفظه قبل هذه السن التي بدأ فيها طلب العلم، وكانت هذه البداية المبكرة سببًا في سماعه جماعة من شيوخه الذين علا بهم سنده.

وقد بدت عليه علامات النبوغ منذ صغره، مما جعل أهل بلده يتوسمون فيه أن يكون مقرئ البلد، ولكن شاء الله أن ييزع نجمه في علم الحديث. حكى الدارقطني عن نفسه: كنت أنا والكتاني^(١) نسمع الحديث، فكانوا يقولون: يخرج الكتاني محدث البلد ويخرج الدارقطني مقرئ البلد، فخرجتُ أنا محدثًا، والكتاني مقرئًا^(٢).

«وكان منذ صغره موصوفًا بالحفظ الباهر، والفهم الثاقب، والبحر الزاخر»^(٣)، فقد «حضر في حديثه مجلس إسماعيل الصفار»^(٤)، فجلس ينسخ جزءًا كان معه وإسماعيل يملئ فقال له بعض الحاضرين: لا يصح سماعك وأنت تنسخ.

فقال له الدارقطني: فهمي للإملاء خلاف فهمك. ثم قال: تحفظ كم أملى الشيخ من

(١) هو عمر بن إبراهيم بن أحمد بن كثير، الإمام أبو حفص البغدادي الكتاني المقرئ المحدث، قرأ على ابن مجاهد، وسمع من البغوي وابن صاعد وجماعة، وكان يقرئ بمسجده، وامتدت حياته حتى كان آخر أصحاب ابن مجاهد وفاة. توفي في رجب سنة ٣٩٠ هـ وله تسعون سنة. تاريخ بغداد (١١/ ٢٦٩) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٨٢) ومعرفة القراء الكبار (٢/ ٦٧٩).

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/ ١٨٤).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٣١٧).

(٤) هو إسماعيل بن محمد بن إسماعيل، الإمام النحوي الأديب مسند العراق، أبو على الصفار البغدادي صاحب المبرد، ولد سنة ٢٤٧ هـ، وسمع من الحسن بن عرفة وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم كثير، وحدث عنه الدارقطني وقال: كان ثقة متعصبًا للسنن. انتهى إليه علو الإسناد، وله شعر وفصائل، وكان مقدمًا في العربية. توفي ببغداد سنة ٣٤١ هـ. تاريخ بغداد (٦/ ٣٠٢) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٠).

حديث إلى الآن؟ فقال: لا. فقال الدارقطني: أُملى ثمانية عشر حديثًا. فَعُدَّتْ الأحاديث فَوُجِدَتْ كما قال. ثم قال أبو الحسن: الحديث الأول منها عن فلان عن فلان ومتمنه كذا، والحديث الثاني عن فلان عن فلان ومتمنه كذا. ولم يزل يذكر أسانيد الأحاديث بمتونها على ترتيبها في الإملاء حتى أتى على آخرها، فتعجب الناس منه^(١).

رحلاته العلمية:

بعد أن سمع الدارقطني من شيوخ بلده بغداد، بدأ في الرحلة إلى المدن المجاورة لها، فرحل إلى البصرة في حدود العشرين وثلاثمائة^(٢)، وسمع بها من محمد بن سليمان المالكي^(٣)، ويعقوب بن يوسف أبي يوسف الخلال^(٤)، وأحمد بن محمد بن بكر أبي روق الهزاني^(٥)، وعلى بن إسحاق المادرائي^(٦)، وأحمد بن محمد بن بحر العطار^(٧).

ودخل الكوفة^(٨) وسمع بها من محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي^(٩)، وعبد الله بن يحيى الطَّلحي^(١٠). ودخل واسط وسمع بها من أبي عبد الله المعدل أحمد بن عمرو بن عثمان^(١١)، وأبي بكر أحمد بن محمد بن سعدان الصيدلاني^(١٢)، وأبي الحسن علي بن عبد الله ابن مُبَشَّر الواسطي^(١٣).

-
- (١) تاريخ بغداد (١٢/٣٦، ٣٧).
 (٢) ميزان الاعتدال (٣/٥٧٢).
 (٣) سنن الدارقطني (١/١٧٨) و(٣/٢٢٠).
 (٤) المصدر السابق (١/٢٧٠).
 (٥) المصدر السابق (٢/٥٧، ١٠٠) و(٣/١٦).
 (٦) المصدر السابق (٢/٩٦).
 (٧) المصدر السابق (٣/٧٨) و(٤/٢٣٤، ٢٦٣).
 (٨) تاريخ بغداد (١٢/٣٧).
 (٩) سنن الدارقطني (١/٢٢٣، ٢٢٤) و(٢/١٥٨، ٢٨١) و(٣/٢٢٧) و(٤/٢٤٨).
 (١٠) المصدر السابق (١/٣٥٦) و(٢/٤٩).
 (١١) المصدر السابق (١/١٤، ١٣٣، ٤٠١) و(٢/١١٨، ١٨٢، ١٩٨، ٢٦١).
 (١٢) المصدر السابق (١/٩٠، ١٨) و(٣/٢٣٩) و(٤/١٩٠، ٢٩٧).
 (١٣) المصدر السابق (٢/٢٦٠).

ودخل المَفْتَح^(١) وسمع بها من الحسن بن علي بن قُوهي^(٢)، وعلي بن محمد بن الحسن ابن محمد بن أبي الشوارب^(٣). ودخل المبارك^(٤) وسمع بها من إسحاق بن إدريس بن عبد الرحيم المبارك^(٥).

ثم ارتحل إلى الحجاز للحج^(٦)، وسمع بمكة من الحسن بن الخضر المعدل^(٧). ودخل طبرية^(٨)^(٩)، والرملة^(١٠) وسمع بها من أبي بكر محمد بن عمر بن أيوب المعدل^(١١). كما ارتحل إلى الأهواز وخوزستان^(١٢)^(١٣)، وقدم دمشق مجتازاً إلى مصر^(١٤).

رحلته إلى مصر:

ودخل الدارقطني مصر سنة سبع وخمسين وثلاثمائة^(١٥)، وجاء في سبب رحلته إليها «أن الوزير ابن حنّابة^(١٦) أراد أن يُصنّف مسنداً، فخرج إليه أبو الحسن وأقام عنده مدة يُصنّف له

(١) المَفْتَح قرية بين البصرة وواسط، وهي من أعمال البصرة. معجم البلدان (١٦٣/٥).

(٢) سنن الدارقطني (١١٢/٢). (٣) المصدر السابق (٤/١٩٥).

(٤) المبارك بليدة بين بغداد وواسط على طرف الدجلة. معجم البلدان (٥٠/٥) والأنساب (١٨٧/٥).

(٥) المصدر السابق (٢/١٥٤). (٦) سير أعلام النبلاء (١٦/٤٥٧).

(٧) سنن الدارقطني (١/١٢٠، ٣٩٧) و(٢/٩١).

(٨) المؤلف والمختلف (٢/٧٢٣).

(٩) طبرية بليدة مطلة على بحيرة طبرية وهي من أعمال الأردن. معجم البلدان (٤/١٧).

(١٠) الرملة مدينة عظيمة بفلسطين. معجم البلدان (٤/١٧).

(١١) سنن الدارقطني (١/٩٧، ١٢٠، ١٩٦).

(١٢) التقييد لمعرفة الرواة (١/٢٠١) وتكملة الإكمال (١/٩٩).

(١٣) الأهواز وخوزستان تقعان بين البصرة وفارس. معجم البلدان (١/٢٨٥) (٢/٤٠٤).

(١٤) تاريخ دمشق (٤٣/٩٤).

(١٥) سؤالات السهمي (٢٩٣).

(١٦) هو الإمام الحافظ الثقة الوزير الأكمل أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر البغدادي نزيل مصر، المعروف بابن حنّابة، ولد ببغداد سنة ٣٠٨ هـ، وكان وزير بني الإخشيد بمصر مدة إمارة كافور،

المسند، وحصل له من جهته مال كثير»^(١).

وأثناء إقامته بمصر سمع من محمد بن عبد الله بن زكريا أبي الحسن النيسابوري^(٢)،
وعبد الله بن محمد الناصح^(٣)، والحسن بن الخضر المعدل^(٤)، والحسن بن رشيق^(٥)، وعلى بن
أحمد بن الأزرق^(٦)، وأبي الطاهر القاضي محمد بن أحمد^(٧)، وعلى بن عبد الله ابن الفضل^(٨).

وعرف أهل مصر فضل الدارقطني ومنزلته، فانتفعوا به وتعلموا منه مدة إقامته بينهم،
وكان أبرز تلاميذه الحافظ عبد الغني^(٩)، الذي امتدحه شيخه وأثنى عليه ثناءً عطرًا، وجعله
خلفًا له في أهل مصر.

قال البرقاني: سألت الدارقطني لما قدم من مصر: هل رأيت في طريقك من يفهم شيئًا من
العلم؟ قال: ما رأيت في طول طريقى إلا شابًا بمصر يُقال له عبد الغني، كأنه شعلة نار.
وجعل يُفخِّم أمره ويرفع ذكره^(١٠).

-
- وكان مع انشغاله بالوزارة محبًا للعلم وأهله، كثير الإنفاق في البر والمعروف، توفي سنة ٣٩١ هـ. سير
أعلام النبلاء (١٦/ ٤٨٤) وتاريخ بغداد (٧/ ٢٣٤) ووفيات الأعيان (١/ ٣٤٦).
(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٨٥) وتاريخ بغداد (١١/ ٢٣٤).
(٢) سنن الدارقطني (١/ ٩٨، ١٤) و(٢/ ٢٣١) و(٣/ ٢٤٠) و(٤/ ١٨٥، ١٩٥، ٢٣٨).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٠٦، ١٤٧).
(٤) المصدر السابق (١/ ٢٨٧) و(٤/ ٢٧، ٣٠٣).
(٥) المصدر السابق (١/ ٣٦٢) و(٢/ ٢٧) و(٣/ ١٣).
(٦) المصدر السابق (٢/ ٩٧، ١٨٦).
(٧) المصدر السابق (٣/ ٨٨، ٢٣٦).
(٨) المصدر السابق (٤/ ٢٩٥).
(٩) هو عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد الإمام الحافظ الحجة النسابة، محدث الديار المصرية أبو محمد
الأزدى المصري، ولد سنة ٣٣٢ هـ، وكان إمام زمانه في علم الحديث وحفظه ثقة مأمونًا. توفي سنة
٤٠٩ هـ. سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٦٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٤٧) وفيات الأعيان (٣/ ٢٢٣).
(١٠) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٦٩).

وحكى أبو الفتح الطرسوسي: أراد أبو الحسن الدارقطني الخروج من عندنا من مصر فخرجنا نودعه، فلما ودعناه بكينا. فقال لنا: تبكون وعندكم عبد الغنى بن سعيد وفيه الخَلَفُ^(١).

فانظر يرحمك الله إلى مدى محبة المصريين للدارقطني، وتعلقهم به وتأثرهم بفراقه، وما ذلك إلا لما تحقق به من مكارم الأخلاق ومحامد الفعال ومعالي الآداب، وقد حكى لنا تلميذه النجيب طرفاً من أدبه العالي.

قال الحافظ عبد الغنى: ابتدأت بعمل كتاب «المؤتلف والمختلف» فقدم علينا الدارقطني، فأخذتُ عنه أشياء كثيرة منه، فلما فرغت من تصنيفه سألتني أن أقرأه عليه لیسعده مني، فقلت: عنك أخذتُ أكثره. قال: لا تقل هكذا، فإنك أخذته عنى مفرقاً وقد أوردته فيه مجموعاً، وفيه أشياء كثيرة أخذتها عن شيو خك. قال: فقرأته عليه^(٢).

ولهذا كان الحافظ عبد الغنى يكثر من ذكر شيخه ويثنى عليه خيراً عرفاً منه بفضلته عليه، قال البرقاني: كنت أسمع عبد الغنى بن سعيد الحافظ كثيراً إذا حكى عن الدارقطني شيئاً يقول: قال أستاذي، وسمعت أستاذي. فقلت له في ذلك فقال: وهل تعلمنا هذين الحرفين من العلم إلا من أبي الحسن الدارقطني^(٣).

قبوله العطايا والجوائز:

وأنكر اليافعي على الدارقطني أخذه المال من الوزير ابن حنابلة نظير مساعدته إياه في تصنيف مسنده، فقال: فإنه وإن كان ظاهره كما قالوا المساعدة له في تخريج المسند المذكور، فلست أرى مثل هذا لاثقاً بأهل العلم ولا بأهل الدين^(٤). اهـ.

(٢) المصدر السابق (١٧/ ٢٧٠).

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٦٩).

(٤) مرآة الجنان (٢/ ٣٢٠).

(٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٦).

وما فعله الدارقطني جائز لا يستوجب الإنكار، فإن كان مقصده حمله على الزهد والورع، فكل إنسان أعلم بحاله وما يصلحه، وقد وردت حكايات أخرى عن الدارقطني من هذا الباب.

قال الخطيب: حدثني العتيقي قال: حضرت أبا الحسن الدارقطني وقد جاءه أبو الحسن البضاوي بغريب ليقرأ له شيئاً، فامتنع واعتل ببعض العلل، فقال: هذا غريب، وسأله أن يُملئ عليه أحاديث. فأملئ عليه أبو الحسن من حفظه مجلساً تزيد أحاديثه على العشرين، متن جميعها: «نعم الشيء الهدية أمام الحاجة». قال: فانصرف الرجل، ثم جاءه بعدُ وقد أهدى له شيئاً، فقرّبه وأملئ عليه من حفظه سبعة عشر حديثاً متون جميعها: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»^(١).

قال الذهبي: هذه حكاية صحيحة، وهي دالة على سعة حفظ هذا الإمام، وعلى أنه لوّح بطلب شيء، وهذا مذهب لبعض العلماء، ولعل الدارقطني كان إذ ذاك محتاجاً، وكان يقبل جوائز دعلج السجزي وطائفة، وكذا وصله الوزير ابن حنزابة بجملة من الذهب لما خرّج له المسند^(٢).

محبه لآل البيت:

«كان أبو الحسن الدارقطني يحفظ ديوان السيد الحميري^(٣)، في جملة ما يحفظ من الشعر، ونُسب إلى التشيع لذلك»^(٤)، وليس في هذا دليل على تشيعه، لأنه لا تلازم بين حفظ الشعر

(١) تاريخ بغداد (٣٩/١٢) وسير أعلام النبلاء (٤٥٦/١٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٥٦/١٦).

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة أبو هاشم الحميري البصري ثم البغدادي، ولد سنة ١٠٥ هـ، من فحول الشعراء لكنه رافضى جلد، كان أبو عبيدة يقول: أشعر المُحدّثين السيد الحميري وبشار. وقد أخل ذكره، وصرف الناس عن رواية شعره، إفراطه في النيل من الصحابة وأزواج النبي ﷺ، وكان يتعصب لبني هاشم تعصباً شديداً وأكثر شعره في مدحهم، وذم غيرهم ممن هو عنده ضدهم. توفي سنة ١٧٣ هـ. سير أعلام النبلاء (٤٤/٨) والأغانى (٢٤٨/٧).

(٤) تاريخ بغداد (٤٤/٨)، ٤٦.

والقول بمعتقد قائله، لا سيما وقد أنكر الدارقطني عليه غُلُوّه في التشيع، حيث ترجم له فقال: السيد الحميري الشاعر اسمه: إسماعيل بن محمد بن يزيد، كان غالباً يسب السلف في شعره، ويمدح أمير المؤمنين على بن أبي طالب^(١).

وجرح الدارقطني عدداً من الرواة لغلوّهم في التشيع، فقال في الحارث بن حصيرة: يغلو في التشيع^(٢). وقال في عمارة بن جُوَيْن: يتلون، خارجي وشيعي^(٣). وروى حديثاً في السنن ثم قال: هؤلاء كلهم من الشيعة^(٤).

قال السلمي: وسألته عن محمد بن المظفر فقال: ثقة مأمون. فقلت: يقال إنه يميل إلى الشيعة. فقال: قليلاً، مقداره ما لا يضر إن شاء الله^(٥).

قال السلمي: قال الشيخ الدارقطني: اختلف قومٌ ببغداد من أهل العلم، فقال قوم: عثمان أفضل. وقال قوم: على أفضل. فتحاكموا إلّٰي فيه فسألوني عنه، فأمسكت وقلت: الإمساك عنه خير. ثم لم أرد السكوت وقلت: دعهم يقولون في ما أحبوا. فدعوتُ الذي جاءني مستفتياً، وقلت: ارجع إليهم وقل: أبو الحسن يقول: عثمان بن عفان أفضل من على بن أبي طالب باتفاق جماعة أصحاب رسول الله ﷺ، هذا قول أهل السنة، وهو أول عقد يحل في الرفض^(٦).

ونبين مما سبق أن الدارقطني «بريء من التشيع»^(٧)، فيمكن القول بأنه حفظ ديوان الحميري لأمر آخر سوى التشيع، ولعل هذا الأمر محبة الدارقطني لآل البيت، أو إعجابه بشعره لحسن نظمهم وجزالة لفظه، ولا يبعد أن يكون للأمرين جميعاً، وهناك فرق كبير بين محبة

(١) المختلف والمؤتلف (٣/ ١٣٠٨، ١٣٠٩).

(٢) الضعفاء والمتروكين للدارقطني (١٥٨).

(٣) المصدر السابق (٣٨١).

(٤) سنن الدارقطني (٧/ ٤) حديث (١٤).

(٥) سؤالات السلمي (٣١٣).

(٦) المصدر السابق (٢٣٨).

(٧) معرفة القراء الكبار (١/ ٣٥١).

آل البيت وبين التشيع لهم والغلو فيهم، والمغالاة لا تكون في المحبة، وإنما تكون في الاعتقاد. فهذا الديوان يشتمل على «مدائح بديعة في أهل البيت... ونظمه في الذروة»^(١)، «وطرازه في الشعر قل ما يلحق به أو يقاربه»^(٢)، والدارقطني كان له اعتناء فائق بالأدب والشعر كما سيأتى في مبحث علومه^(٣).

ميله للأشاعرة:

«قال أبو الوليد الباجي في كتاب «اختصار فرق الفقهاء» من تأليفه، في ذكر القاضي ابن الباقلاني^(٤): لقد أخبرني الشيخ أبو ذر الهروي وكان يميل إلى مذهبه، فسألته من أين لك هذا؟ قال: إني كنت ماشياً ببغداد مع الحافظ الدارقطني، فلقينا أبا بكر بن الطيب، فالتزمه الشيخ أبو الحسن، وقبّل وجهه وعينه، فلما فارقه قلت له: مَنْ هذا الذي صنعتَ به ما لم أعتقد أنك تصنعه وأنت إمام وقتك؟ فقال: هذا إمام المسلمين، والذائب عن الدين، هذا القاضي أبو بكر محمد بن الطيب. قال أبو ذر: فمن ذلك الوقت تكررت إليه^(٥). وفي رواية: واقتديت بمذهبه^(٦).

وواضح من هذه الحكاية ميل الدارقطني للأشاعرة، وتوقيره واحترامه لأئمتهم، غير أنه لم يشغل بعلم الكلام.

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤، ٤٦).

(٢) الأغاني (٧/ ٢٤٩).

(٣) (ص ٥٠).

(٤) هو الإمام العلامة أُوحد المتكلمين مُقَدِّم الأصوليين القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي ابن الباقلاني صاحب التصانيف، وكان يُضرب المثل بفهمه وذكائه، وكان ثقة إماماً بارعاً، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وهو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث، وطريق أبي الحسن وإليه انتهت رئاسة المالكية. توفي سنة ٤٠٣ هـ وكانت جنازته مشهودة. ترتيب

المدارك (٤/ ٤٨٥) وتاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٨). (٦) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٠٥).

قال السهمي: سمعت الشيخ أبا الحسن يقول: ما في الدنيا شيء أبغض إليّ من الكلام^(١).
قال الذهبي: لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدل، ولا خاض في ذلك، بل كان
سلفياً^(٢). اهـ.

وقال الذهبي معقّباً على حكاية الدارقطني وابن الباقلاني: هو الذي كان ببغداد يناظر
عن السنة وطريقة الحديث بالجدل والبرهان، وبالخضرة رؤوس المعتزلة والرافضة والقدرية
وألوان البدع، ولهم دولة وظهور بالدولة البويهيّة، وكان يرد على الكراميّة، وينصر الحنابلة
عليهم، وبينه وبين أهل الحديث عامر، وإن كانوا يختلفون في مسائل دقيقة، فلهذا عامله
الدارقطني بالاحترام^(٣).

ولنفرة الحافظ الذهبي من الأشاعرة، أرجع تصرف الدارقطني تجاه الباقلاني إلى مجرد
الاحترام، وليس الميل إليه وإلى مذهبه، كما هو المتبادر إلى الذهن، وصدق الحافظ العلائي فيما
وصف به الحافظ الذهبي حيث قال:

الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي، ولا أشك في دينه وورعه وتحرّيه فيما يقوله الناس،
ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات، ومُنافرة التأويل، والغفلة عن التنزيه، حتى أثار ذلك في
طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التنزيه، وميلاً قوياً إلى أهل الإثبات^(٤).

وقد وقفت قليلاً لبيان هذا الأمر، لأن جماعة من الباحثين^(٥) اغتروا بكلام الحافظ
الذهبي، ونفوا ميل الدارقطني للأشاعرة، بل اعتبروا ذلك تهمة ينبغي أن ينزه عنها، ونسوا

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/٤٥٧).

(١) سؤالات السهمي (٤٣٢).

(٤) قاعدة في الجرح والتعديل (ص ٤٣).

(٣) المصدر السابق (١٧/٥٥٨).

(٥) انظر مقدمة تحقيق كتاب الأجوبة (ص ٦٦) ومقدمة الضعفاء والمتروكون بتحقيق موفق بن عبد القادر
(ص ٢٢) ومقدمة تحقيق المؤلف والمختلف (١/١٨) وكتاب الإمام الدارقطني وآثاره العلمية
(ص ٢٣).

أن «غالب علماء المسلمين وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية من الأشاعرة»^(١).

نصرته لمذهب الشافعي:

بنى أئمة المذاهب الفقهية مذاهبهم بناءً محكمًا على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ، والنظر الصحيح الراجح إليهما، ودرج العلماء من بعدهم على اتباعها وخدمتها وتشديد صروحها، وتأثر الدارقطني بمشايخه الشافعيين، فاختار مذهب الشافعي منهجًا له، ووضع كتاب السنن أصلاً لأدلته، منتصرًا له في أغلب مسائله، عن طريق تقوية أدلته وبيان ضعف أدلة مخالفيه، ويعد الدارقطني من أقدم من خدم المذهب الشافعي من الناحية الحديثية، والبيهقي وإن اشتهر بذلك أكثر من الدارقطني فإنه تابع له، مغترف من بحره، ناسج على منواله.

«ودرس الدارقطني فقه الشافعي على أبي سعيد الإصطخري»^(٢)، وقيل بل درس الفقه على صاحب لأبي سعيد، وكتب الحديث عن أبي سعيد نفسه»^(٣).

وكان الدارقطني يرى ضرورة اتباع المذاهب الفقهية، وينكر على من لم ير ذلك من مشايخه، فيا سبحان الله! إذا كان الدارقطني يرى ذلك، فمن بعده يحق له ترك المذاهب واتباع الدليل كما يقول دعاة اللامذهبية.

قال السهمي: سأل الشيخ أبو سعد الإسماعيلي^(٤) أبا الحسن الدارقطني عن أبي بكر

(١) قاعدة في الجرح والتعديل (ص ٤٤).

(٢) هو الحسن بن أحمد بن يزيد أبو سعيد الإصطخري، أحد الرفعاء من أصحاب الوجوه، مولده سنة ٢٤٤ هـ، قال الخطيب: كان أحد الأئمة المذكورين، ومن شيوخ الفقهاء الشافعيين، وكان ورعًا زاهدًا متقللاً. توفي سنة ٣٢٨ هـ. طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٣٠) وتاريخ بغداد (٧/ ٢٦٨).

(٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٥).

(٤) هو إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس أبو سعد الجرجاني المعروف بالإسماعيلي، والده أبو بكر الإسماعيلي صاحب المعجم، كان ثقة فاضلاً فقيهاً على مذهب الشافعي، فكان سخيًا جوادًا مفضلاً على أهل العلم. توفي سنة ٣٩٦ هـ. تاريخ بغداد (٦/ ٣٠٩).

أحمد بن كامل بن خلف القاضي^(١)؟ فقال: كان متساهلاً، ربما حدّث من حفظه بما ليس عنده في كتابه، وأهلكه العجب، فإنه كان يختار، ولا يضع لأحد من العلماء الأئمة أصلاً. فقال له أبو سعد الإسماعيلي: كان جريرى المذهب. قال أبو الحسن: بل خالفه واختار لنفسه، وأملى كتاباً في السنن، وتكلم على الأخبار^(٢).

وقال السلمي: سألت الدارقطني عن أبي بكر بن كامل فقال: كان متساهلاً، وربما حدّث من حفظه بما ليس في كتبه، وذاك أنه لا يعد لأحد وزناً من الفقهاء وغيرهم^(٣).

وقارنَ الحافظ ابن تيمية بين البيهقي والدارقطني من جهة تقليدهم للمذهب الشافعي واجتهادهم فقال: وأما البيهقي فكان على مذهب الشافعي متتصراً له في عامة أقواله، والدارقطني هو أيضاً يميل إلى مذهب الشافعي وأئمة السنة والحديث، لكن ليس في تقليد الشافعي كالبيهقي، مع أن البيهقي له اجتهاد في كثير من المسائل، واجتهاد الدارقطني أقوى منه، فإنه كان أعلم وأفقه منه^(٤). ١ هـ.

وهذا الكلام ليس على إطلاقه، فإن الدارقطني في بعض المسائل أشدّ تقليداً للشافعي من البيهقي، فالأمر يختلف من مسألة لأخرى، بحسب ما يظهر لكل واحد منهما من قوة الدليل أو ضعفه.

صفاته:

لم يصل إلينا من صفات الدارقطني الخلقية سوى أنه كان طويل القامة أبيض اللون^(٥) ولكن وصل إلينا كثير من صفاته الخلقية، مما يرشدنا إلى أنه كان جامعاً بين العلم والعمل،

(١) هو أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة بن منصور أبو بكر القاضي، أحد أصحاب محمد بن جرير الطبري تقلد قضاء الكوفة، وكان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن، والنحو والشعر وأيام الناس وتواريخ أصحاب الحديث، وله مصنفات في أكثر ذلك، توفي سنة ٣٥٠ هـ. تاريخ بغداد (٤/ ٣٥٧) ولسان الميزان (١/ ٥٨١).

(٢) سؤالات السلمي (١٥).

(٣) سؤالات السلمي (١٧٦).

(٤) أطراف الغرائب والأفراد (١/ ٥٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤١).

متحققًا بأخلاق العلماء، فمن صفاته البارزة:

سعة حفظه:

إن أهم ما تميز به الدارقطني سعة حفظه وشدة ضبطه وقوة ذاكرته، حتى «كان يُضرب به المثل في الحفظ»^(١)، وقد شهد له بذلك جميع مَنْ لقيه أو اطلع على مصنفاته، لا سيما كتاب «العلل» فإنه خير شاهد على ذلك.

قال أبو الطيب الطبري: كان الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث^(٢)، وما رأيت حافظًا ورد بغداد إلا مضى إليه وسلّم له. يعني فسَلّم له التقدمة في الحفظ وعلو المنزلة في العلم^(٣).

وقال الحاكم: حج شيخنا أبو عبد الله بن أبي ذهل، فكان يصف حفظه وتفردّه -يعني الدارقطني- بالتقدم في سنة ثلاث وخمسين حتى استنكرت وصفه إلى أن حججت في سنة سبع وستين فجئت بغداد وأقمت بها أزيد من أربعة أشهر، وكثر اجتماعنا بالليل والنهار، فصادفته فوق ما وصفه ابن أبي ذهل، وسألته عن العلل والشيخوخ، وله مصنفات يطول ذكرها^(٤).

وقال الخطيب: سألت البرقاني قلت له: هل كان أبو الحسن الدارقطني يُملئ عليك العلل من حفظه؟ فقال: نعم. ثم شرح لي قصة جمع العلل، فقال: كان أبو منصور بن الكرجي^(٥) يريد أن يصنف مسندًا معللاً، فكان يدفع أصوله إلى الدارقطني، فيُعَلِّم له على

(١) الأنساب للسمعاني (٢/٤٣٨).

(٢) لم يُطلق هذا اللقب إلا على أفذاذ قلة من المحدثين، وهو أعلى ألقاب الرواية عندهم، وقد جمع العلامة عبد الفتاح أبو غدة أسماء المحدثين الذين لقبوا بذلك في رسالة أسماها «أمرء المؤمنين في الحديث» طبع مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

(٣) تاريخ بغداد (١٢/٣٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٦/٤٥١، ٤٥٢).

(٥) هو إبراهيم بن الحسين بن حنبل أبو منصور الصيرفي المعروف بابن الكرجي، روى عنه أبو الحسن الدارقطني في كتاب المديح حديثًا، قال البرقاني: صحبته نحوًا من عشرين سنة أدام فيها الصيام! قال: ==

الأحاديث المعللة، ثم يدفعها أبو منصور إلى الورَّاقين، فينقلون كل حديث منها في رقعة، فإذا أردتُ تعليق الدارقطني على الأحاديث نظر فيها أبو الحسن، ثم أملى على الكلام من حفظه، فيقول: حديث الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود الحديث الفلاني، اتفق فلان وفلان على روايته، وخالفهما فلان، ويذكر جميع ما في ذلك الحديث، فأكتب كلامه في رقعة مفردة، وكنت أقول له: لم تنظر قبل إملائك الكلام في الأحاديث؟ فقال: أتذكر ما في حفظي بنظري. ثم مات أبو منصور والعلل في الرقاق. فقلت لأبي الحسن بعد سنين من موته: إني قد عزمت أن أنقل الرقاق إلى الأجزاء وأرتبها على المسند، فأذن لي في ذلك، وقرأتها عليه من كتابي، ونقلها الناس من نسختي^(١).

وعقب الذهبي على ذلك بقوله: إن كان كتاب العلل الموجود، قد أملاه الدارقطني من حفظه كما دلت عليه هذه الحكاية، فهذا أمر عظيم، يُقضى به للدارقطني أنه أحفظ أهل الدنيا، وإن كان قد أملى بعضه من حفظه فهذا ممكن^(٢).

وقال في موضع آخر: هنا يُخضع للدارقطني ولسعة حفظه، الجامع لقوة الحافظة ولقوة الفهم والمعرفة، وإذا شئت أن تبين براعة هذا الإمام الفرد، فطالع «العلل» له، فإنك تندهرش ويطول تعجبك^(٣).

قال أبو بكر البرقاني: وكنتُ أكثر ذكر الدارقطني والثناء عليه بحضرة أبي مسلم بن مهران الحافظ، فقال لي أبو مسلم: أراك تُفرط في وصفه بالحفظ، فتسأله عن حديث الرضراض عن ابن مسعود. فجئت إلى أبي الحسن وسألته عنه. فقال: ليس هذا من مسائلك،

وكان وقت العتمة كل ليلة يصلي أربع ركعات، يقرأ فيها سبع القرآن، كل ركعة جزءاً. ومات قبل الدارقطني بسنين كثيرة. تاريخ بغداد (٥٩/٦).

(١) تاريخ بغداد (٣٧/١٢). (٢) سير أعلام النبلاء (٤٥٥/١٦).

(٣) تذكرة الحفاظ (٣/٩٩٣، ٩٩٤).

وإنما قد وُضِعَتْ عليه. فقلت: نعم. فقال: من الذى وضعك على هذه المسألة؟ فقلت: لا يمكننى أن أسميه. فقال: لا أجيبك أو تذكره لي. فأخبرته، فأملى علىّ أبو الحسن حديث الرضراض باختلاف وجوهه، وذكر خطأ البخارى فيه، فألحقته بالعلل^(١) ونقلته إليها^(٢).

وقال الأزهرى: كان الدارقطني ذكياً، إذا ذُكر شيئاً من العلم أى نوع كان وُجد عنده منه نصيب وافر. ولقد حدثنى محمد بن طلحة النعالي: أنه حضر مع أبى الحسن فى دعوة عند بعض الناس ليلة، فجرى شيء من ذكر الأكلة، فاندفع أبو الحسن يورد أخبار الأكلة وحكاياتهم ونواديرهم حتى قطع ليلته أو أكثرها بذلك^(٣).

وقد تقدم ذكر ما وقع له فى حادثته فى مجلس إسماعيل الصفار^(٤)، وحكايته مع الغريب الذى جاء به أبو الحسين البيضاوي^(٥)، وفيهما أيضاً ما يدل على سعة حفظه.

تواضعه وأدبه:

مما اتصف به الدارقطني التواضع والأدب، وهما حلية العلماء الصالحين، وشعار عباد الله المتقين، وكانت هذه الأخلاق الكريمة والآداب العالية سبباً فى محبة شيوخه وتلاميذه له على حد سواء، فقرّبه شيوخه وقدموه وأكرموا ورفعوه، وأقبل عليه تلاميذه فتعلموا منه علمه وحفظوه وصانوه ونشروه، وقد قدمت نموذجاً من أدبه العالى مع تلميذه الحافظ عبد الغنى، فى حكاية تصنيفه لكتاب «المؤتلف والمختلف»، وإليك نماذج مما وقع له مع شيوخه.

قال البرقاني: سمعت أبا الحسن الدارقطني يقول: كتبت ببغداد من أحاديث السوداني^(٦)

(١) العلل (٢٣٥/٥).

(٢) تاريخ بغداد (٣٨/١٢).

(٣) المصدر السابق (٣٦/١٢).

(٤) (ص ١٥).

(٥) (ص ١٩).

(٦) هو محمد بن القاسم بن زكريا أبو عبد الله المحاربى الكوفى السودانى، ما رُوى له أصل قط، وكان يؤمن بالرجعة، وكان ابن عقدة يُدخل عليه الحديث، وكان غالياً. توفى سنة ٣٢٦ هـ. سؤالات السهمى (٣٨)، (٦٩) وسير أعلام النبلاء (٧٣/١٥) ولسان الميزان (٤٤٩/٧).

أحاديث تفرد بها، ثم مضيت إلى الكوفة لأسمع منه، فجئت وعنده أبو العباس ابن عقدة^(١)، فدفعت إليه الأحاديث في ورقة، فنظر فيها أبو العباس، ثم رمى بها واستنكرها، وأبى أن يقرأها، وقال: هؤلاء البغداديون يحيئون بما لا نعرفه. قال أبو الحسن: ثم قرأ أبو العباس عليه فمضى في جملة ما قرأه حديث منها، فقلت له: هذا الحديث من جملة الأحاديث. ثم مضى آخر، فقلت: وهذا أيضًا من جملتها. ثم مضى ثالث، فقلت: وهذا أيضًا منها. وانصرفت وانقطعت عن المجلس لحمى نالني، فبينما أنا في الموضع الذي كنت نزلته، إذا أنا بدائق يدق على الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: ابن سعيد. فخرجت وإذا بأبي العباس، فوقعت في صدره أقبلة، وقلت: يا سيدي، لم تجشمت المجيء؟ فقال: ما عرفناك إلا بعد انصرافك، وجعل يعتذر إليّ، ثم قال: ما الذي أخرجك عن الحضور؟ فذكرت له أنني جُمْتُ. فقال: تحضر المجلس لتقرأ ما أحببت فكنت بعد إذا حضرت أكرمني ورفعني في المجلس^(٢).

وحكى أبو الحسن الدارقطني أنه حضر لأبي بكر ابن الأنباري في مجلس أملاه يوم الجمعة، فصحف اسمًا أورده في إسناد حديث، إما كان حبان فقال: حيان، أو حيان فقال: حبان. قال أبو الحسن: فأعظمت أن يُحمل عن مثله في فضله وجلالته وهَمِّ، وهَبُّهُ أن أوقفه على ذلك، فلما انقضى الإملاء تقدمت إلى المستملى وذكرت له وَهَمَّهُ، وعَرَفْتُهُ صواب القول فيه وانصرفت، ثم حضرت الجمعة الثانية مجلسه، فقال أبو بكر للمستملى: عَرَّفَ جماعة الحاضرين أَنَّا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية، وَبَهَّنا ذلك الشاب على الصواب وهو كذا، وعَرَّفَ الشاب أَنَّا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال^(٣).

(١) هو أحمد بن محمد بن سعيد أبو العباس الكوفي الحافظ العلامة، أحد أعلام الحديث، ونادرة الزمان، وصاحب التصانيف على ضعف فيه، وهو المعروف بالحافظ ابن عقدة، ولد سنة ٢٤٩ هـ، وطلب الحديث وكتب منه ما لا يحصى ولا يوصف عن خلق كثير بالكوفة وبغداد ومكة، وجمع الغث والسمين، والخرز إلى الدر الثمين، ورُوى بالتشيع. مات سنة ٣٣٢ هـ. سير أعلام النبلاء (١٥/٣٤٠) تاريخ بغداد (٥/١٤).

(٢) تاريخ بغداد (١٢/٣٧).

(٣) المصدر السابق (٣/١٨٣).

وكان يراعى الأدب في الحديث عن شيوخه حتى بعد وفاتهم، ويتلطف في العبارة إذا سُئل عن أحوالهم. قال الحاكم: قلت لأبي الحسن الدارقطني: ما بال أبي العباس بن عقدة لم تذكره بشيء؟ فقال: شيخنا ولا أدري ما أقول، غير أني أنكر على من يتهمة بالوضع، إنما بلاؤه هذه الوجادات^(١).

وقال السلمي: سألت الدارقطني عن ابن عقدة، فقال: حافظ محدث، ولم يكن في الدين بالقوى، ولا أزيد على هذا^(٢).

ابتلاؤه بالمرض:

ابْتُلى الدارقطني بمرض سلس البول، ولم يمنعه ذلك من الإملاء والتدريس، مع اليقظة التامة والذكاء المفرط.

قال الخليلي: حدثني أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن فضالة النيسابوري الحافظ قال: سألت أبا الحسن الدارقطني الحافظ رحمه الله وكان به سلس البول، يقوم ويرجع، قلت: حديث تزويج فاطمة^(٣) الذي يرويه عبد الملك بن حيان ابن عم يحيى بن معين؟ وكان قد قام

(١) سؤالات الحاكم (٣٥).

(٢) سؤالات السلمي (٤١).

(٣) حديث تزويج فاطمة أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ٤٤٤) من طريق محمد بن نهار بن أبي المحياة عن عبد الملك بن خيار ابن عم يحيى بن معين عن محمد بن دينار العرقى عن هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن بن أنس قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ غشيه الوحي، فلما سُرى عنه قال: «إن ربي أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ، انطلق فادع لي أبا بكر وعمر». وسمّى جماعة من المهاجرين وبعدهم من الأنصار. قال: فلما أخذوا مقاعدهم، خطب النبي ﷺ فقال: «الحمد لله بنعمته، المعبود بقدرته...» فذكر الخطبة والعقد وقدر الصداق، ودعا بطبق فيه بُسْر، فوضعه بين أيدينا فقال: «انتبهوا» وفيه: «بارك الله فيكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما الكثير الطيب». قال ابن عساكر: غريب. وقال الذهبي في ترجمة العرقى: أتى بحديث كذب، ولا يُدرى من هو. ميزان الاعتدال (٣/ ٥٤٢) ولسان الميزان (١٣٠/ ٧).

فرجع وقال: ويحك يا رجل تلقنني خطأ، هو عبد الملك بن خيار ابن عم يحيى بن معين^(١).

وفاته:

بعد رحلة حافلة بخدمة السنة والدفاع عنها، والتحقيق بها قولاً وعملاً، انتهى أجل الدارقطني ليلقى ثواب ما قدم عند ربه، وليبقى بيننا حياً بما ترك من مصنفات زاخرة بعلومه، دالة على تفردته وإمامته.

قال الخطيب: حدثنا أبو الحسن بن الفضل قال: قال لي أبو الحسن الدارقطني في المحرم سنة خمس وثمانين وثلاثمائة في يوم الجمعة: يا أبا الحسن اليوم دخلت في السنة التي توفي لي ثمانين. قال ابن الفضل: وتوفي في ذي القعدة من هذه السنة^(٢).

واختلف في الشهر الذي توفي فيه، هل هو شهر ذي القعدة أم شهر ذي الحجة؟ ورجح الخطيب أن وفاته كانت في شهر ذي القعدة.

قال الخطيب: حدثني عبد العزيز بن علي الإرجسي قال: توفي الدارقطني يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة^(٣).

«وُصِّلَ عليه في المسجد الذي بدار القطن»^(٤)، «وَصَلَّى عليه الشيخ الإسفراييني»^(٥)،^(٦)

(١) الإرشاد (١/٤١٣).

(٢) تاريخ بغداد (١٢/٤٠).

(٣) المصدر السابق.

(٤) أطراف الغرائب والأفراد (١/٥٢).

(٥) هو أحمد بن أبي طاهر: محمد بن أحمد أبو حامد الإسفراييني، الأستاذ العلامة شيخ الإسلام، شيخ الشافعية ببغداد، ولد سنة ٣٤٤ هـ، قدم بغداد وله عشرون سنة، فتفقه وبرع في المذهب، حتى انتهت إليه رئاسة الشافعية ببغداد، وسمع السنن من الدارقطني، وقيل إنه مجدد المائة الرابعة. توفي سنة ٤٠٦ هـ. سير أعلام النبلاء (١٧/١٩٣) وتاريخ بغداد (٤/٣٦٨).

(٦) مرآة الجنان (٢/٣٢٠).

«ودفن أبو الحسن في مقبرة دار الدير قريباً من قبر معروف الكرخي»^(١).

ورؤى له بعد موته منامات حسنة، قال ابن ماكولا: رأيت في المنام ليلة من ليالي شهر رمضان، كأني أسأل عن حال أبي الحسن في الآخرة، وما آل إليه أمره، فقليل: ذلك يُدعى في اللجنة الإمام^(٢).

فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، ونفعنا بعلمومه في الدارين... آمين.

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠).

(٢) المصدر السابق.

المبحث الثاني

شيوخه وتلاميذه

المطلب الأول: شيوخه

المطلب الثاني: تلاميذه

obeikandi.com

المطلب الأول: شيوخه

«كان توسع الدارقطني في الطلب والرحلة، مع ازدهار عصره بالعلم والعلماء، سبباً في كثرة شيوخه الذين تلقى عنهم واستفاد منهم وتأثر بهم»^(١).

فقد أربى عدد شيوخه الذين روى عنهم في السنن على ثلاثمائة شيخ، وإن اختلفت الرواية عنهم كثرة وقلة، فمنهم من روى عنه المئات، ومنهم من روى عنه العشرات، ومنهم من روى عنه الحديث والحديثين.

وذكر الدكتور عبد الله الرحيلي أسماء شيوخ الدارقطني في السنن مرتبين على حروف المعجم^(٢)، فبلغوا مائتين وتسعين شيخاً، إلا أنه وقع في أوهام وأغلاط فاحشة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ذكر فيهم إبراهيم بن يزيد الخوزي المتوفى سنة ١٥١ هـ^(٣)، وفرّق ما حقه أن يجتمع، فمثلاً: أحمد بن محمد بن سليمان، المذكور برقم (٤٥) هو نفسه: أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان أبو ذر الواسطي، المذكور برقم (٥٠). وإسماعيل بن محمد الوراق، المذكور برقم (٦٦) هو نفسه: إسماعيل بن العباس بن محمد الوراق، المذكور برقم (٦٣).

وفاته جماعة من شيوخه فلم يذكرهم، ففي حرف الألف وحده فاته عشرة شيوخ:

١. إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي^(٤) (ت ٣٢٥ هـ).
٢. أحمد بن إسحاق بن الفضل الزيات^(٥).
٣. أحمد بن الحسين بن علي المروزي أبو حامد الهمداني^(٦) (ت ٣٧٧ هـ).

(١) مقدمة الضعفاء والمتروكين للدارقطني (ص ٢٦).

(٢) الإمام أبو الحسن الدارقطني وآثاره العلمية (ص ٥٧: ٧٣).

(٣) تهذيب الكمال (٢/ ٢٤٢).

(٤) سنن الدارقطني (٤/ ٣٠٠) وتاريخ بغداد (٦/ ١٣٧).

(٥) سنن الدارقطني (٤/ ٢٨٥).

(٦) سنن الدارقطني (٣/ ٣١١) وتاريخ بغداد (٤/ ١٠٧).

٤. أحمد بن علي بن حبيش بن أحمد بن عيسى بن خاقان الناقد^(١).
٥. أحمد بن عمرو بن جابر الرملي^(٢) (ت ٣٣٣هـ).
٦. أحمد بن محمد بن بحر العطار^(٣).
٧. أحمد بن محمد بن السري بن يحيى أبو بكر بن أبي دارم^(٤) (ت ٣٥٢هـ).
٨. أحمد بن محمد بن عمار^(٥) القطان^(٦) (ت ٣٢٨هـ).
٩. أحمد بن محمد بن علي بن الحسن أبو الحسن الديباجي^(٧) (ت ٣٢٨هـ).
١٠. أسامة بن محمد بن مسعود الدقاق^(٨).

وأحصى الدكتور محفوظ الرحمن السلفي أسماء شيوخ الدارقطني الذين روى عنهم في كتاب العلل، مشفوعة بالمواطن التي روى فيها عن كل واحد منهم، وجعلهم في آخر رسالته للدكتوراة^(٩)، فبلغ عددهم مائتين وثلاثة عشر شيخاً.

-
- (١) سنن الدارقطني (٢/ ٢١٦) وتاريخ بغداد (٤/ ٣١٣).
 - (٢) سنن الدارقطني (١/ ٢٦٩، ٣٠٨) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٦١).
 - (٣) سنن الدارقطني (٣/ ٦٤، ٧٨) (٤/ ٢٣٤).
 - (٤) سنن الدارقطني (٤/ ٧) وميزان الاعتدال (١/ ١٣٩) ولسان الميزان (١/ ٦٠٩).
 - (٥) في المطبوعة (بن عثمان) والمثبت من الأصول الخطية وتاريخ بغداد، وفي طبعة مؤسسة الرسالة عُدل إلى (بن عباد) تبعاً لإتحاف المهرة (٨/ ٧١) على توهم أنه (أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد بن عباد أبو سهل القطان) أحد شيوخ الدارقطني المشاهير.
 - (٦) سنن الدارقطني (٣/ ٢٨٧) وتاريخ بغداد (٥/ ٧٥).
 - (٧) سنن الدارقطني (٢/ ١٤٣) وتاريخ بغداد (٥/ ٦٨).
 - (٨) سنن الدارقطني (٣/ ٣٠٨) وتاريخ بغداد (٧/ ٥٢).
 - (٩) حقق الدكتور محفوظ الرحمن السلفي قطعة من كتاب «العلل» للدارقطني نال بها درجة الدكتوراة من كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٣ هـ، وجعل في آخرها هذا الفهرس (ص ١٩٤٨ وما بعدها) ثم عمل على تحقيق باقى الكتاب وطباعته، فطبع منه أحد عشر مجلداً، وقد أعجله القدر فمات قبل إتمام تحقيقه، فيسر الله إكمالَه.

وترجم الدكتور موفق بن عبد القادر لأربعين شيخاً من شيوخ الدارقطني^(١)، وذكر أن لديه قائمة بأسماء شيوخه الذين روى عنهم في «السنن» و«المؤتلف والمختلف» و«العلل» وشيوخه الذين ذكرهم الخطيب في «تاريخ بغداد» مرتبة على حروف المعجم، وأنه ينوي إخراجها في «مشيخة الدارقطني»^(٢)، وقد مر على كلامه ذلك ما يزيد على العشرين سنة ولم نر هذه المشيخة مطبوعة، ولو جُمع مشايخه من سائر مصنفاته وتاريخ بغداد وحُذف المكرر فيها بينها، فأقْدَر أن يبلغ عددهم خمسمائة شيخ على أقل تقدير.

وترجم الشيخ مقبل الوداعي لشيوخه في السنن، ضمن كتابيه: «رجال الحاكم في المستدرک» و«تراجم رجال الدارقطني في سننه الذين لم يُترجم لهم في التقريب ولا في رجال الحاكم»، إلا أنه لم يلتزم بشرطه فذكر فيه جماعة من رجال التقريب^(٣)، وقصّر في البحث عن بعض التراجم، فذكر أنه لم يجدها وهي في كتب مشهورة^(٤).

وذكر صاحب كتاب «الذيل والتكملة» في ترجمة أبي الحسن على بن محمد بن عبد الملك الحميري الفاسي المعروف بابن القطان (ت ٦٢٨هـ): أن له كتاباً في شيوخ الدارقطني ويقع في مجلد متوسط^(٥).

وذكر أيضاً صاحب كتاب «الإعلام» في ترجمة ابن المواق محمد بن أبي يحيى بن بكر (ت ٦٤٢هـ) تلميذ ابن القطان: أن له كتاباً في شيوخ الدارقطني^(٦)، فالأول نسب الكتاب للشيخ

(١) الضعفاء والمتروكين للدارقطني (ص ٢٦ وما بعدها).

(٢) المؤتلف والمختلف (١/ ١٤).

(٣) راجع على سبيل المثال ترجمة: مخلد بن الحسين الأزدي البصري، ومعمّر بن سليمان النخعي الرقي، وهشام بن عائذ أبي كليب الأسدي (ص ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٧٠) فثلاثتهم من رجال التقريب.

(٤) فمثلاً قال في ترجمة عبد الله بن أحمد بن المستورد (ص ٢٦): لم نجده. وقد ترجم له ابن حبان في الثقات (٣٦٨، ٣٦٩).

(٥) الذيل والتكملة (٨/ ١٦٧).

(٦) الإعلام بمن حل مراكز والأغماط من الأعلام (٤/ ٢٣١).

والثاني نسبة للتلميذ، فالله أعلم بالصواب.

وقد اخترت ثمانية من شيوخه في «السنن» لأترجم لهم في هذا التعريف، ممن رأيت أن لهم أثراً كبيراً في تكوين الشخصية العلمية للدارقطني، ويكفي أن نعلم أنه روى عن هؤلاء الثمانية وحدهم شطر أحاديث السنن.

١ - أبو بكر بن أبي داود^(١) (٢٣٠: ٣١٦هـ):

هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث أبو بكر الأزدي السجستاني، الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد صاحب التصانيف.

وُلد بسجستان في سنة ثلاثين ومائتين، وسافر به والده الإمام أبو داود صاحب السنن وهو صغير فكان يقول: رأيت جنازة إسحاق بن راهويه^(٢).

وأول شيخ سمع منه: محمد بن أسلم الطوسي، وُسِّرَ أبوه بذلك لجلالة الطوسي، وروى عن أبيه ومحمد بن بشار وعمرو بن علي الفلاس ومحمد بن يحيى الذهلي، وخلق كثير بخراسان والعراق ومصر والشام وأصبهان وفارس.

وكان من بحور العلم بحيث إن بعضهم فضله على أبيه، صنف السنن والمصاحف وشرعية المقارئ والناسخ والمنسوخ والبعث وأشياء.

وحدث عنه خلق كثير منهم: ابن حبان البستي وأبو أحمد الحاكم وابن شاهين وابن المقرئ وابن المظفر.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: سألت الدارقطني عن ابن أبي داود فقال: ثقة إلا أنه كثير

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٤٦٤) وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٢١).

(٢) كانت وفاة إسحاق بن راهويه ليلة النصف من شعبان سنة ٢٣٨ هـ، كما في تهذيب الكمال (٢/ ٣٨٨)، أي كان عمر أبي بكر حينئذ ثمانى سنوات.

الخطأ في الكلام على الحديث^(١).

مات في ذي الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة، وهو أول شيوخ الدارقطني وفاة، وكان عمر الدارقطني حينئذٍ عشر سنين، وعمر شيخه ست وثمانون عامًا.

وروى عنه الدارقطني في السنن واحدًا وتسعين حديثًا، ومن صيغ الأداء التي حدّث بها عنه: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث لفظًا من كتاب الناسخ والمنسوخ^(٢).

٢- أبو القاسم بن منيع^(٣) (٢١٤: ٣١٧هـ):

هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الحافظ الإمام الحجة المعمر البغوي^(٤) الأصل البغدادي الدار والمولد، وهو أبو القاسم بن منيع نسبة إلى جده لأمه الحافظ أحمد بن منيع البغوي صاحب «المسند» ونزيل بغداد^(٥).

ولد أبو القاسم يوم الاثنين أول يوم من شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائتين، وحرص عليه جده وأسمعه في الصغر، بحيث إنه كتب بخطه إملاء في ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائتين، فكان سنه يومئذٍ عشر سنين ونصفًا، ولا يُعلم أحد في ذلك العصر طلب الحديث وكتبه أصغر من أبي القاسم، فأدرك الأسانيد العالية.

سمع من أحمد بن حنبل وعلى بن المديني وأبي بكر بن أبي شيبة، وعلى بن الجعد وكان

(١) سؤالات السلمى (٢٢٤).

(٢) سنن الدارقطني (١٨٩/١) حديث (٣).

(٣) تاريخ بغداد (١٠/١١١) وسير أعلام النبلاء (٤٤٠/١٤).

(٤) البغوي نسبة إلى بلدة من بلاد خراسان يقال لها بغ أو بغشور. الأنساب (٣٧٤/١).

(٥) هو الإمام الحافظ الثقة أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي أبو جعفر الأصم نزيل بغداد، رحل وجمع وصنف المسند، حدث عن هشيم وابن عيينة وابن المبارك، وروى عنه الستة لكن البخاري بواسطة، وكان مولده سنة ستين ومائة، ومات في شوال سنة أربع وأربعين ومائتين. تهذيب الكمال (٤٩٥/١) وسير أعلام النبلاء (٤٨٣/١١).

أكبر شيخ له، وهو ثبت فيه أكثر عنه، ولهذا جمع حديثه في كتاب «الجعديات».

وحدث عنه يحيى بن صاعد وأبو على النيسابوري وعبد الباقي بن قانع^(١)، وهم من شيوخ الدارقطني، وقد شاركهم الدارقطني في الرواية عنه، نظرًا لتأخر وفاة أبي القاسم ابن منيع، وهو أسن شيوخ الدارقطني.

توفي أبو القاسم ليلة الفطر من سنة سبع عشرة وثلاثمائة ودفن يوم الفطر، وقد استكمل مائة سنة وثلاث سنين وشهرًا واحدًا، وكان عمر الدارقطني وقتئذٍ أحد عشر عامًا، وقد تقدم أن مبتدأ سماع الدارقطني في التاسعة من عمره، وأنه كان يحاول السماع من أبي القاسم قبل ذلك فلم يتمكن لصغره، حتى إنه كان يبكي لمنعهم إياه من الدخول عليه والسماع منه.

وروى الدارقطني عنه في السنن مائتين وثمانين حديثًا، ومع طول الفترة بين سماعه منه وأدائه عنه، فقد ميز بين ما تحمّله سماعًا فيقول: حدثنا أبو القاسم بن منيع. وبين ما تحمله عرضًا فيقول: قرئ على أبي القاسم بن منيع وأنا أسمع.

وقد أثنى الدارقطني على شيخه بعبارات حسنة، قال أبو عبد الرحمن السلمي: سألت الدارقطني عن البغوى فقال: ثقة جبل، إمام من الأئمة ثبت، أقل المشايخ خطأ، وكلامه في الحديث أحسن من كلام ابن صاعد^(٢).

وقال حمزة بن محمد بن طاهر الدقاق: سمعت أبا الحسن الدارقطني يقول: كان أبو القاسم بن منيع قلما يتكلم على الحديث، فإذا تكلم كان كلامه كالمسار في الساج.

(١) هو الإمام الحافظ البارع الصدوق القاضي أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموى مولاهم البغدادي صاحب كتاب معجم الصحابة، ولد سنة ٢٦٥ هـ، وكان واسع الرحلة كثير الحديث بصيرًا به. روى عنه الدارقطني بالسنن ٣٨ حديثًا. وقال عنه: كان يحفظ ولكنه يخطئ ويُسَرُّ. توفي سنة ٣٥١ هـ. تاريخ بغداد (١١/٨٨) سير أعلام النبلاء (١٥/٥٢٦).

(٢) سؤالات السلمي (١٩٧).

وقال البرقاني: قلت لأبي الحسن الدارقطني: تجمع في الحديث ابن منيع وابن أبي داود وابن صاعد مَنْ تُقَدِّم؟ فقال: ابن منيع لسنه ثم ابن صاعد^(١).

٣- ابن صاعد^(٢) (٢٢٨: ٣١٨هـ):

هو يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب، الإمام الحافظ المجود محدث العراق، أبو محمد الهاشمي البغدادي، رحال جوال عالم بالعلل والرجال.

قال ابن صاعد: ولدت في سنة ثمان وعشرين ومائتين، وكتبت الحديث عن ابن ماسرجس سنة تسع وثلاثين. أي كان عمره أحد عشر عامًا.

قال أبو يعلى الخليلي: أبو محمد بن صاعد ثقة إمام يفوق في الحفظ أهل زمانه، ارتحل إلى مصر والشام والحجاز والعراق، منهم من يقدمه في الحفظ على أقرانه، منهم أبو الحسن الدارقطني^(٣).

قال أبو عبد الرحمن السلمي: سألت الدارقطني عن يحيى بن محمد بن صاعد فقال: ثقة ثبت حافظ^(٤).

وقال الحاكم: سمعت أبا أحمد الحافظ يقول: لم يكن بالعراق في أقران أبي محمد بن صاعد أحد في فهمه، والفهم عندنا أجل في الحفظ.

قال الخطيب: قد كان ابن صاعد ذا محل من العلم عظيم، وله تصانيف في السنن وترتيبها على الأحكام.

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٢٣٣).

(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ٢٣١) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٠١).

(٣) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢/ ٦١١).

(٤) سؤالات السلمي (٣٧٣).

وتوفي ابن صاعد بالكوفة في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، عن تسعين سنة وأشهر، وكان عمر الدارقطني وقتئذ اثنا عشر عامًا.

وروى عنه في السنن ثلاثمائة وخمسة وعشرين حديثاً، ومع أن سماعه من مشايخه الثلاثة: ابن أبي داود وابن منيع وابن صاعد، كان في صغره، فقد حفظ حديثهم ووعاه وأكثر من الرواية عنهم في مصنفاته.

٤ - أبو بكر النيسابوري^(١) (ت ٣٢٤هـ):

هو عبد الله بن محمد بن زياد أبو بكر النيسابوري، الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام الشافعي صاحب التصانيف.

تفقه بالمزني والربيع وابن عبد الحكم وسمع منهم، ومن محمد بن يحيى الذهلي ويونس ابن عبد الأعلى وأبي زرعة الرازي وبكار بن قتيبة وخلق كثير، وبرع في العِلْمَيْن: الحديث والفقه، وفاق الأقران.

أخذ عنه موسى بن هارون وهو أكبر منه بل من شيوخه، وروى عنه ابن عقدة وحمزة ابن محمد الكنانى وابن المظفر وابن شاهين وخلق سواهم.

قال الحاكم: كان إمام الشافعيين في عصره بالعراق، ومن أحفظ الناس للفقهيّات واختلاف الصحابة، سمع بنيسابور والعراق ومصر والشام والحجاز.

قال السلمي: سألت الدارقطني عن أبي بكر النيسابوري فقال: لم نر مثله في مشايخنا، لم نر أحفظ منه للأسانيد والمتون، وكان أفقه المشايخ، جالس المزني والربيع، وكان يعرف زيادات الألفاظ في المتون، ولما قعد للتحديث قالوا: حدّث. قال: بل سلوا. فسُئِلَ عن

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٢٠) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٥).

أحاديث فأجاب فيها وأملأها، ثم بعد ذلك ابتدأ يحدث^(١).

وقال أبو الفتح القواس: سمعت أبا بكر النيسابوري يقول: تعرف من أقام أربعين سنة لم ينم الليل، ويتقوت كل يوم بخمس حبات، ويصلي صلاة الغداة على طهارة العشاء الآخرة؟ ثم قال: أنا هو وهذا كله قبل أن أعرف أم عبد الله، إيش أقول لمن زوجني؟ ثم قال: ما أراد إلا الخير.

مات في شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة عن بضع وثمانين سنة، وكان عمر الدارقطني آنذاك ثمان عشرة سنة، وقد أكثر الدارقطني من الرواية عنه في السنن ومن ذكر فوائده وتعليقه على المتن والإسناد، فهو الشيخ الأول للدارقطني بالسنن من حيث عدد الأحاديث إذ بلغت ستمائة وثمانين حديثاً.

٥- ابن الأنباري^(٢) (٢٧١: ٣٢٨هـ):

هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون المقرئ النحوي.

ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين، وكان أبوه محدثاً أخبارياً علامة من أئمة الأدب فتلقى عنه، وسمع في صباه باعتناء أبيه من: محمد بن يونس الكديمي، وإسماعيل القاضي وأحمد بن الهيثم البزاز، وأبي العباس ثعلب، وخلق كثير.

وحدث عنه: أبو عمر حيويه وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب وآخرون.

قال أبو بكر الخطيب: كان ابن الأنباري صدوقاً ديناً من أهل السنة.

وقال أبو علي القالي: كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن. قال الذهبي: هذا يحییء في أربعين مجلداً.

(١) سؤالات السلمی (٣٢٥).

(٢) تاريخ بغداد (٣/ ١٨١) وسیر أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤).

وقال أبو علي التنوخي: كان يملئ من حفظه، ما أملى من دفتر قط.

وكان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظاً للغة، أخذ عن ثعلب، وأخذ الناس عنه وهو شاب في حدود سنة ثلاثمائة، وألف الدواوين الكبار مع الصدق والدين وسعة الحفظ.

ومات أبو بكر في ليلة الأضحى ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. عن سبع وخمسين سنة، وكان سن الدارقطني آنذاك اثنتين وعشرين سنة، ولم يرو عنه الدارقطني في السنن شيئاً.

٦- القاضي المحاملي^(١) (٢٣٥: ٣٣٠هـ)

هو الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل أبو عبد الله القاضي البغدادي المحاملي^(٢) الإمام العلامة المحدث الثقة مسند الوقت مصنف السنن.

مولده في أول سنة خمس وثلاثين ومائتين، وأول سماعه في سنة أربع وأربعين ومائتين وهو في التاسعة من عمره.

فسمع من أبي حذافة أحمد بن إسماعيل السهمي صاحب مالك، ومن أبي الأشعث أحمد بن المقدام العجلي صاحب حماد بن زيد، ومن عمرو بن علي الفلاس، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وخلق كثير.

وحدث عنه دعلج بن أحمد والطبراني وابن شاهين.

قال أبو بكر الخطيب: كان فاضلاً ديناً، شهد عند القضاة وله عشرون سنة، وولى قضاء الكوفة ستين سنة.

قال ابن جُميع الصيداوي: كان عند المحاملي سبعون نفساً من أصحاب سفيان بن عيينة.

(١) تاريخ بغداد (٨/ ١٨١) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٩).

(٢) المحاملي: بفتح الميم والحاء، وكسر الميم الثانية واللام، نسبة إلى بيع المحامل التي يُحمل الناس عليها في السفر. الباب في تهذيب الأنساب (٢/ ١٠٣).

وقال أبو بكر الداودي: كان يحضر مجلس المحاملى عشرة آلاف رجل.

وعقد في داره بالكوفة مجلساً للفقهاء سنة سبعين ومائتين، وكان عمره آنذاك سبعاً وثلاثين سنة، فلم يزل أهل العلم والنظر يختلفون إليه.

واستعفى من القضاء قبل سنة عشرين وثلاثمائة، وكان محموداً في ولايته، ثم لزم منزله واقتصر على إسماع الحديث وسماعه.

وأملى المحاملى مجالس عدة، وروى عنه بعضُها تلميذه ابن يحيى البيه^(١)، وقد ابتدأها المحاملى في أواخر حياته يوم الأحد مستهل رجب سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة^(٢)، وكان آخر مجلس أملاه مجلس يوم الأحد لاثني عشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلاثمائة. ثم مرض أحد عشر يوماً، وتوفي يوم الأربعاء قبل المغرب، ودفن يوم الخميس وقت العصر لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلاثمائة^(٣).

وكان عمر الدارقطني آنذاك أربعاً وعشرين سنة، وروى عنه في السنن خمسائة وثمانين حديثاً.

٧- ابن مغلد^(٤) (٢٣٣: ٣٣١هـ):

هو محمد بن مغلد بن حفص أبو عبد الله الدورى ثم البغدادى العطار، الإمام الحافظ الثقة القدوة، ولد سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

(١) هو عبد الله بن عبيد الله بن يحيى البيه أبو محمد المؤدب البغدادى المحدث الثقة المعروف بابن يحيى البيه. توفي في رجب سنة ثمان وأربعمائة، وله سبع وثمانون سنة. تاريخ بغداد (٣٩/١٠) وسير أعلام النبلاء (٢٢١/١٧).

(٢) أملى المحاملى (ص ٥٩). (٣) أملى المحاملى (ص ٤٣٠، ٤٤٨).

(٤) تاريخ بغداد (١١/٣) وسير أعلام النبلاء (٢٥٦/١٥).

وسمع يعقوب بن إبراهيم الدورقي، وأبا حذافة أحمد بن إسماعيل السهمي صاحب مالك، والحسن بن عرفة، ومسلم بن الحجاج.

وحدث عنه ابن الجعابي وابن شاهين وآخرون.

وكان موصوفاً بالعلم والصلاح والصدق والاجتهاد في الطلب، طال عمره واشتهر اسمه، وانتهى إليه العلو مع القاضي المحاملي ببغداد، وكتب ما لا يوصف كثرة مع الفهم والمعرفة وحسن التصنيف.

قال السهمي: سألت الدارقطني عن ابن مخلد فقال: ثقة مأمون^(١).

وتوفي في شهر جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وله ثمان وتسعون سنة، وكان عمر الدارقطني وقتئذٍ خمساً وعشرين سنة، وقد روى عنه في السنن أربعمائة وخمسة عشر حديثاً.

٨- دعلج السجزي^(٢) (٢٥٩: ٣٥١هـ):

هو دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن، المحدث الحجة الفقيه الشافعي الإمام أبو محمد السجستاني ثم البغدادي، التاجر ذو الأموال العظيمة.

ولد سنة تسع وخمسين ومائتين أو قبلها بقليل، وسمع بعد الثمانين ما لا يوصف كثرة بالحرمين والعراق وخراسان والنواحي حال جولانه بالتجارة.

وحدث عن علي بن عبد العزيز، ومحمد بن غالب تَمْتَام، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وعثمان بن سعيد الدارمي، وإمام الأئمة ابن خزيمة.

وحدث عنه الحاكم وأبو إسحاق الإسفراييني وخلق سواهما.

(١) سؤالات السهمي (٢٠).

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٣٨٧) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠).

قال الحاكم: دعلج الفقيه شيخ أهل الحديث في عصره، له صدقات جارية على أهل الحديث بمكة وبغداد وسجستان.

وقال الخطيب: كان دعلج من ذوى اليسار، له وقوف على أهل الحديث... وكان ثقة ثبّتاً، جُمع له المسند وحديث شعبة وحديث مالك.

قال: وبلغنى أنه كان يبعث بمسنده إلى ابن عقدة لينظر فيه، فجعل بين كل ورقتين درهماً، وكان الدارقطني هو المصنف له كتبه.

فحدثنى أبو العلاء الواسطى عن الدارقطني قال: صنفت لدعلج المسند الكبير، فكان إذا شك في حديث ضرب عليه، ولم أر في مشايخنا أثبت منه.

وقال السهمي: سمعت أبا الحسن سُئل عن دعلج بن أحمد، فقال: كان ثقة مأموناً، وذكر له قصة في أمانته وفضله ونبله.

وقال السلمى: سألت الدارقطني عن دعلج بن أحمد فقال: الثقة المأمون ملازماً لأصوله وكتبه.

ومات دعلج لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة عن اثنين وتسعين عاماً، وكان عمر الدارقطني حينئذٍ خمساً وأربعين عاماً، وقد روى عنه في السنن واحداً وسبعين حديثاً.

وبعد هذه التراجم للشيخ الثمانية يحسن بنا أن نلخص بعض المعلومات الواردة بها في

الجدول التالي:

م	اسم الشيخ	مولده - وفاته	عمره	عمر الدارقطني عند وفاته	عدد أحاديثه في السنن
١	أبو بكر بن أبي داود	٢٣٠ - ٣١٦ هـ	٨٦ سنة	١٠ سنين	٩١ حديثاً
٢	أبو القاسم بن منيع	٢١٤ - ٣١٧ هـ	١٠٣ سنة	١١ سنة	٢٨٠ حديثاً
٣	ابن صاعد	٢٢٨ - ٣١٨ هـ	٩٠ سنة	١٢ سنة	٣٢٥ حديثاً
٤	أبو بكر النيسابوري	توفي سنة ٣٢٤ هـ	٨٩ سنة على الأكثر	١٨ سنة	٦٨٠ حديثاً
٥	ابن الأنباري	٢٧١ - ٣٢٨ هـ	٥٧ سنة	٢٢ سنة	-
٦	القاضي المحاملي	٢٣٥ - ٣٣٠ هـ	٩٥ سنة	٢٤ سنة	٥٨٠ حديثاً
٧	ابن مخلد	٢٣٣ - ٣٣١ هـ	٩٨ سنة	٢٥ سنة	٤١٥ حديثاً
٨	دعلاج السجزي	٢٥٩ - ٣٥١ هـ	٩٢ سنة	٤٥ سنة	٧١ حديثاً

وبالتأمل في هذه المقارنة بين شيوخ الدارقطني الثمانية، نجد أنهم جميعاً - باستثناء ابن الأنباري - من المعمرين، وهو ما أتاح للدارقطني ميزة العلو في الأسانيد، وهو أمر تتوق إليه نفوس المحدثين، لاسيما إذا كان العلو عن طريق الثقات على نحو ما تحقق للدارقطني، وهو ما يفسر لنا كثرة روايته عنهم حتى بلغت أحاديثهم شطر السنن.

وكان هؤلاء الشيوخ الثمانية تأثير عظيم في تكوين الشخصية العلمية للدارقطني، وقبل هؤلاء جميعاً يأتي دور والده، الذي وجهه لطلب العلم وحثه عليه منذ صغره، وتأثره بوالده ظهر في اتجاهه إلى علم القراءات وبراعته فيه، فقد كان والده من القراء المشاهير، وتأثره بشيوخه المعمرين: ابن أبي داود وابن منيع وابن صاعد - تمثل في شغفه بعلم الحديث

والمعرفة بعلمه ورجاله.

وتأثر الدارقطني بشيخه أبي بكر النيسابوري تأثراً بالغاً سواء في علم الحديث وفي علم الفقه، ففي علم الحديث سلك طريقته في معرفة زيادات الألفاظ في المتون والكلام على علل الأحاديث، وفي الفقه تفقه بالمذهب الشافعي وصنف كتابه السنن نصرة لمذهبه، وكذلك كان تأثره بشيوخه -القاضي المحاملي وابن مخلد ودعلج السجزي- الجامعين بين العلمين: الحديث والفقه.

وتأثر الدارقطني بشيخه ابن الأنباري واضح في محبته للشعر والأدب، وفصاحته وبراعته في علم النحو.

وإلى جانب استفادته العلمية من صحبة دعلج السجزي في الحديث والفقه، فقد كفلت له هذه الصحبة عيشاً كريماً، وتفرغاً كاملاً للطلب والتصنيف، فلم يُذكر أنه اشتغل بتجارة أو صناعة، ولم يرحل الدارقطني إلى الوزير ابن حنظلة في مصر إلا بعد وفاة دعلج السجزي وانقطاع عطائه عنه.

ولو لم يأخذ الدارقطني إلا عن هؤلاء المشايخ لكفوه وأغنوه لعلو قدرهم ورفعة مكانتهم، وغزارة علمهم، وعظيم فضلهم، فما بالك وقد أخذ عن المئات غيرهم، ومع كثرة الشيوخ تتنوع المعارف والعلوم، وتتلاقح الأفكار والفهوم.

وقد اعتنى الدارقطني في كتابه «السنن» بنقل تعليقات ثلاثة من هؤلاء المشايخ، فإذا روى حديثاً من طريق أحدهم وله عليه تعليق فإنه يقول عقب الحديث: قال فلان كذا. أو: قال لنا فلان كذا، وهؤلاء الثلاثة هم: أبو بكر بن أبي داود^(١)، وجل ما نقله عنه في التفرد

(١) انظر سنن الدارقطني (١/ ١٩٠، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤١٧) (٢/ ٦، ١٢، ٣٧، ٤١، ٦٣).

بنوعيه المطلق والنسبي، وأبو محمد بن صاعد^(١) وأبو بكر النيسابوري^(٢)، وجميع ما نقله عنهما في علل الحديث والحكم عليه.

(١) انظر المصدر السابق (١/١٠٦، ٣١٩) (٢/٢٢١، ٢٦٤، ٢٨٨، ٢٩٧) (٣/٣٨، ٢٥٧)، (٤/٢٥٥).
 (٢) انظر المصدر السابق (١/١٥٤، ١٧٢) (٢/٢٠١، ٢٣٠، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٩١) (٣/١٥٢، ٢٣٩، ٢٩٣، ٢٩٤) (٤/٤٠، ٨٦، ١٠٦، ١٢٧، ١٣٨، ١٣٩).

المطلب الثاني: تلاميذه

وكما تميز الدارقطني بكثرة شيوخه، تميز أيضًا بكثرة تلاميذه الذين حفظوا علمه ووعوه ونشروه، ومن أبرز تلاميذه الذين جمعوا علمه ودونوه، أصحاب السؤالات المشهورة:

١ - أبو عبد الله الحاكم^(١) (٣٢١: ٤٠٥ هـ):

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين أبو عبد الله ابن البيع النيسابوري الشافعي، صاحب «المستدرک على الصحيحين».

ولد في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة بنيسابور، وطلب هذا الشأن في صغره بعناية والده وخاله، وأول سماعه كان في سنة ثلاثين، وقد استمل على أبي حاتم بن حبان في سنة أربع وثلاثين وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

ولحق الأسانيد العالية بخراسان والعراق وما وراء النهر، وسمع من نحو ألفي شيخ، ينقصون أو يزيدون، وارتحل إلى العراق وهو ابن عشرين سنة.

وقرأ القرآن بالروايات وتفقه، وأخذ فنون الحديث على أبي علي الحافظ والجعابي وأبي أحمد الحاكم والدارقطني وعدة، وصنّف وخرّج، وجرح وعدّل، وصحّح وعلّل، وكان من بحور العلم على تشييع فيه.

وفي رحلته الثانية إلى بغداد سنة ثمان وستين، أقام بها أزيد من أربعة أشهر، وكثر اجتماعه بالدارقطني بالليل والنهار، وسأله عن العلل والشيخ، وناظر الدارقطني فرضيه.

قال السلمي: سألت الدارقطني: أيهما أحفظ ابن منده أو ابن البيع؟ فقال: ابن البيع أتقن حفظًا.

وروى الحاكم عن الدارقطني في مواضع قليلة من المستدرک، وجمع سؤالاته له عن

(١) تاريخ بغداد (٥/٤٧٣) سير أعلام النبلاء (١٧/١٦٢).

الرواة وأحوالهم، وهي مطبوعة متداولة.

ومات أبو عبد الله الحاكم فجأة في صفر سنة خمس وأربعمائة.

٢- أبو عبد الرحمن السلمى^(١) (٣٢٥: ٤١٢هـ):

هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى أبو عبد الرحمن السلمى الإمام الحافظ المحدث، شيخ خراسان وكبير الصوفية، صاحب التصانيف.

ولد في عاشر جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وكتب بخطه في سنة ثلاث وثلاثين، وورث التصوف من أبيه وجده.

وجمع من الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه، حتى بلغ فهرس كتبه المائة أو أكثر، حدث أكثر من أربعين سنة قراءة وإملاء، وكتب الحديث بنيسابور ومرو والعراق والحجاز، وانتخب عليه الحفاظ.

سمع من أبيه وجده لأمه إسماعيل بن نجيد، وأبى بكر الصبغى، وأبى العباس الأصم، وأبى بكر القطيعى وخلق كثير.

ومن أقواله: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمت المشايخ، ورؤية أعداء الخلق، والدوام على الأوراد.

وله سؤالات للدارقطني عن أحوال المشايخ الرواة سؤال عارف.

ومات في شهر شعبان سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وكانت جنازته مشهودة.

٣- أبو بكر البرقاني^(٢) (٣٣٦: ٤٢٥هـ):

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب أبو بكر الخوارزمى ثم البرقانى الشافعى، الإمام

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٨) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٧).

(٢) تاريخ بغداد (٤/ ٣٧٣) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٦٤).

الحافظ الثبت، شيخ الفقهاء والمحدثين صاحب التصانيف.

ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وسمع في سنة خمسين وثلاثمائة بخوارزم من أبي العباس الخيري، وسمع بهرة من أبي الفضل بن خَيْرُوِيه، وبجرجان من الإمام أبي بكر الإسماعيلي، وببغداد من أبي علي الصواف، وبنيسابور من أبي أحمد الحاكم، وبمصر من الحافظ عبد الغني، وخلق سواهم.

حدث عنه أبو بكر البيهقي، والخطيب البغدادي، وعدد كثير، واستوطن بغداد دهرًا ومات بها في أول رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

وقال الخطيب: كان البرقاني ثقة ورعًا ثبتًا فہمًا، لم نر في شيوخنّا أثبت منه، عارفًا بالفقه، له حظ من العربية، كثير الحديث.

وهو الذي جمع كتاب «العلل» من سؤالاته للدارقطني كما تقدم^(١).

٤ - حمزة السهمي^(٢) (٣٤٣: ٤٢٨ هـ):

هو حمزة بن يوسف بن إبراهيم بن موسى أبو القاسم القرشي السهمي، الإمام الحافظ المتقن المصنف محدث جرجان.

ولد سنة نيف وأربعين وثلاثمائة، وأول سماعه بجرجان كان في سنة أربع وخمسين، سمع من أبيه المحدث أبي يعقوب، وأبي بكر محمد بن أحمد بن إسماعيل الصرام، وأبي أحمد ابن عدي، وأبي بكر الإسماعيلي، وخلق.

وارتحل في سنة ثمان وستين إلى أصبهان والري وبغداد والبصرة والشام ومصر والحرمين وواسط والأهواز والكوفة.

(١) راجع (ص ٤٠) من هذا البحث.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٦٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٨٩).

وروى عن أبي بكر الوراق والوزير ابن حنزابة وأبى الحسن الدارقطني، وحدث عنه أبو بكر البيهقي وأبو القاسم القشيري، وحدث الخطيب عن رجل عنه.

وصنف التصانيف، وتكلم في العلل والرجال، ومات سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وقيل سنة سبع وعشرين.

وقد جمع كل من هؤلاء الأربعة أجوبة السؤالات التي سأها للدارقطني عن الرجال وأحوالهم، وبينها تقارب وتشابه، وجميعها مطبوع متداول، وللدارقطني تلاميذ كثر سواهم من البغاددة والدماشقة والمصريين والرحالين.

المبحث الثالث: علومه ومصنفاته

«كان الدارقطني من بحور العلم، ومن أئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله، مع التقدم في القراءات وطرقها، وقوة المشاركة في الفقه والاختلاف»^(١)، والعناية بالأدب والشعر والنحو، والمعرفة بالتاريخ والسير والأنساب.

إن تفرد الدارقطني بين علماء الإسلام، يرجع إلى جمعه بين تلك العلوم المتنوعة، وتقدمه في كل علم منها، حتى صار «فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته»^(٢).

وقد أنس الدارقطني ذلك من نفسه، فتحدث بنعمة الله عليه وفضله، قال أبو محمد رجاء بن محمد بن عيسى الأنضناوي: سألت أبا الحسن الدارقطني فقلت له: رأى الشيخ مثل نفسه؟ فقال لي: قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]. فقلت له: لم أُرِدْ هذا، وإنما أردت أن أعلمه لأقول: رأيت شيخاً لم ير مثله. فقال لي: إن كان في فن واحد فقد رأيت من هو أفضل مني، وأما من اجتمع فيه ما اجتمع في فلا^(٣).

وسُئِلَ الحاكم عن الدارقطني فقال: ما رأى مثل نفسه^(٤). وقال الأزهري: رأيت محمد بن أبي الفوارس وقد سأل أبا الحسن الدارقطني عن علة حديث أو اسم فيه فأجابه، ثم قال له: يا أبا الفتح ليس بين الشرق والغرب من يعرف هذا غيري^(٥).

وقال القاضي أبو الطيب الطبري: حضرت أبا الحسن الدارقطني، وقد قرأت عليه الأحاديث التي جمعها في الوضوء من مس الذكر، فقال: لو كان أحمد بن حنبل حاضراً لاستفاد من هذه الأحاديث^(٦).

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٠).

(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٤).

(٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٥).

(٤) المصدر السابق (١٢/ ٣٦).

(٥) المصدر السابق (١٢/ ٣٩).

(٦) المصدر السابق (١٢/ ٣٨).

١- علم القراءات:

من العلوم التي برع فيها الدارقطني وصنف فيها كتاباً علم القراءات، «وقرأ الدارقطني القرآن على أبي بكر النقاش، وأبي الحسن بن بويان، وأحمد بن محمد الديباجي، وعلى ابن سعيد بن ذؤابة، وسمع كتاب السبعة من ابن مجاهد^(١)، وتصدر للقراءات في أواخر أيامه، وصنف فيها كتاباً حافلاً، وهو أول مَنْ عمل الأبواب قبل قرش الحروف^(٢)».

قال الخطيب البغدادي: اضطلع الدارقطني بعلوم سوى علم الحديث منها القراءات، فإن له فيها كتاباً مختصراً موجزاً جمع الأصول في أبواب عقدها أول الكتاب. وسمعت بعض من يعتنى بعلوم القرآن يقول: لم يُسبق أبو الحسن إلى طريقته التي سلكها في عقد الأبواب المقدمة في أول القراءات، وصار القراء بعده يسلكون طريقته في تصانيفهم، ويجذون حذوه^(٣).

وقال شمس الدين الجزري: ولم يعرف مقدار هذا الكتاب إلا مَنْ وقف عليه، ولم يكمل حسن كتاب «جامع البيان» إلا لكونه نُسج على منواله^(٤).

٢- علم الفقه:

ومن علومه «المعرفة بمذاهب الفقهاء، فإن كتاب السنن يدل على أنه ممن اعتنى بالفقه لأنه لا يقدر على جمع ما تضمن ذلك الكتاب إلا مَنْ تقدمت معرفته بالاختلاف في الأحكام^(٥)».

(١) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أبو بكر البغدادي، الإمام المقرئ المحدث النحوي شيخ المقرئين، مصنف كتاب «السبعة»، ولد سنة ٢٤٥ هـ، تلا على قُتَيْبٍ، وأبي الزغراء بن عبدوس، وأخذ الحروف عن طائفة، وانتهى إليه علم هذا الشأن، وتصدر مدة، وقرأ عليه خلق كثير، وروى عنه الدارقطني بالسنن أربعة أحاديث. توفي في شعبان سنة ٣٢٤ هـ. تاريخ بغداد (١٤٤/٥) وسير أعلام النبلاء (٢٧٢/١٥).

(٢) معرفة القراء الكبار (١/٣٥٠). (٣) تاريخ بغداد (١٢/٣٤).

(٤) غاية النهاية (١/٥٥٩). (٥) تاريخ بغداد (١٢/٣٥).

ومن أقواله التي تدل على فقهه وفهمه، ما قاله عقب حديث ابن عباس وقراءته في الركعة الأولى بالفاتحة وأول آية من البقرة، وفي الثانية بالفاتحة والآية الثانية من البقرة، فقال: وفيه حجة لمن يقول إن معنى قوله ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] إنها هو بعد قراءة فاتحة الكتاب، والله أعلم^(١).

وما قاله عقب حديث ابن عباس في الرجل الذي قتل امرأته لأنها كانت تشتم رسول الله ﷺ وتقع فيه، فقال رسول الله ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر». قال: فيه سنة في الأصل في إشهاد الحاكم على نفسه بإفناذ القضاء^(٢).

وقال رجاء بن محمد المعدل: كنا عند الدارقطني يوماً والقارئ يقرأ عليه، وهو قائم يصلي نافلة، فمر حديث فيه ذكر نُسير بن ذعلوق، فقال القارئ: بُشير بن ذعلوق. فقال الدارقطني: سبحان الله. فقال القارئ: بُشير بن ذعلوق. فقال الدارقطني: سبحان الله. فقال القارئ: يُسير بن ذعلوق. فقال الدارقطني: ﴿رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. فقال القارئ: نسير بن ذعلوق. ومر في قراءته^(٣).

وقال حمزة بن محمد بن طاهر: كنت عند أبي الحسن الدارقطني وهو قائم يتنفل، فقرأ عليه أبو عبد الله ابن الكاتب حديثاً لعمر بن شعيب، فقال: عمرو بن سعيد. فقال أبو الحسن: سبحان الله. فأعاد الإسناد وقال: عمرو بن سعيد. ووقف، فتلا أبو الحسن ﴿يَشْعِبُ أَصْلُوكُ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: ٨٧]. فقال ابن الكاتب: عمرو بن شعيب^(٤).

«وهذا في الحكايتين مع حُسْنِه، فيه من أبي الحسن استعمال للمسألة المشهورة، فيمن أتى

(١) سنن الدارقطني (١/٣٣٨) حديث (٢).

(٢) سنن الدارقطني (٤/٢١٧) حديث (٤٩) وانظر النكت للزركشي (١/٨٤).

(٣) تاريخ بغداد (١٢/٣٨، ٣٩).

(٤) تاريخ بغداد (١٢/٣٩).

في الصلاة بشيء من نظم القرآن، قاصداً للقراءة وشيء آخر، فإن صلاته لا تبطل، ولو قصد ذلك الشيء الآخر وحده لبطلت»^(١) وهو يدل على فقه أبي الحسن رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

٣- علم النحو والأدب والشعر:

ومن علومه «أيضاً المعرفة بالأدب والشعر، وقيل إنه كان يحفظ دواوين جماعة من الشعراء»^(٢)، وتقدم أنه كان يحفظ ديوان السيد الحميري في جملة ما يحفظ من الشعر.

قال الأزهري: إن أبا الحسن لما دخل مصر كان بها شيخ علوى من أهل مدينة رسول الله ﷺ يقال له: مُسَلَّم بن عبيد الله، وكان عنده كتاب «النسب» عن الحضر بن داود عن الزبير بن بكار، وكان مُسَلَّم أحد الموصوفين بالفصاحة المطبوعين على العربية، فسأل الناس أبا الحسن أن يقرأ عليه كتاب «النسب»، ورغبوا في سماعه بقراءته، فأجابهم إلى ذلك، واجتمع في المجلس مَنْ كان بمصر من أهل العلم والأدب والفضل، فحرصوا على أن يحفظوا على أبي الحسن لَحْنَةً أو يظفروا منه بسقطة، فلم يقدرُوا على ذلك، حتى جعل مُسَلَّم يعجب ويقول له: وعربية أيضاً. وقال له المعيطى الأديب بعد القراءة: يا أبا الحسن، أنت أجراً من خاصي الأسد، تقرأ مثل هذا الكتاب مع ما فيه من الشعر والأدب، فلا يؤخذ فيه عليك لحنة! وتعجب منه^(٣).

٤- علم السير والمغازي والأنساب:

تجلت معرفة الدارقطني بهذه العلوم من خلال كتابه «المؤتلف والمختلف»، فقد اطلع الدارقطني على مصنفات كثيرة ليصنف هذا الكتاب، كما هو واضح من موارد الكتاب التي

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣/٤٦٦) وانظر المجموع (٤/١٤).

(٢) تاريخ بغداد (١٢/٣٥).

(٣) تاريخ دمشق (٤٢/٩٩).

ذكرها محققه^(١)، ومنها «المغازي والسير» لموسى بن عقبة (ت ١٤١هـ)، و«السيرة النبوية» لابن إسحاق (ت ١٥٣هـ)، و«الفتوح» لسيف بن عمر (ت ٢٠٠هـ)، و«جمهرة النسب الكبير» لابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، و«جمهرة نسب قريش وأخبارها» للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ).

هـ- علم الحديث ورجاله:

وهو العلم الذي ارتفع فيه نجمه، وعلا به شأنه، وذاع في الآفاق صيته، ومن تأمل تصانيفه، اعترف له بالميزية على من تقدمه، وأنه لم يأت بعده من يقاربه، ولهذا قال ابن الصلاح بعد ذكره أصحاب الكتب الخمسة: سبعة من الحفاظ في ساقاتهم، أحسنوا التصنيف وعظم الانتفاع بتصانيفهم في أعصارنا. وذكر أولهم: أبا الحسن الدارقطني^(٢).

وقال ابن كثير: سمع الكثير وجمع وصنّف وألف وأجاد وأفاد، وأحسن النظر والتعليل والانتقاد والاعتقاد، وكان فريد عصره، ونسيج وحده، وإمام دهره، في أسماء الرجال وصناعة التعليل، والجرح والتعديل، وحسن التصنيف والتأليف، واتساع الرواية، والاطلاع التام في الدراية^(٣).

صنف الدارقطني في سائر فنون الحديث، فجمع السنن والأبواب والغرائب، واستدرك وعلل، وانتقى وخرّج، وجرح وعدّل.

مصنفاته في جمع الحديث وترتيبه:

١ - كتاب السنن: وهو «من أحسن المصنفات في بابيه، لم يسبق إلى مثله، ولا يلحق بشكله، إلا من استمد من بحرهِ وعمل كعمله»^(٤)، وسيأتي التعريف به في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

(٢) علوم الحديث (ص ٣٨٦).

(١) المؤلف والمختلف (٩٨/١: ١٢٤).

(٤) المصدر السابق.

(٣) البداية والنهاية (١١/٣١٧).

٢- الأفراد والغرائب: «الذى لا يفهمه - فضلاً عن أن ينظمه - إلا مَنْ هو مِنْ الحفاظ الأفراد، والأئمة النقاد، والجهابذة الجياد»^(١)، ويقع في مائة جزء^(٢)، يوجد منه جزآن في الظاهرية^(٣)، والكتاب غير مرتب على المسانيد، فافتتحه بحديث لعائشة ثم أتبعه بحديث لعمار بن ياسر، فلا يمكن استخراج الفائدة منه إلا بعد مشقة وتعب^(٤). وقد رتبته على الأطراف أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى (ت ٥٠٧هـ) وسماه «أطراف الغرائب والأفراد»، فبدأ بمسانيد العشرة المبشرين، ثم بمسانيد من اشتهر بالأسماء من الصحابة على المعجم، فإذا كثرت الرواة عن الصحابي رتبهم أيضاً على المعجم ثم مسانيد من اشتهر بالكنى، ثم مسانيد النساء كذلك^(٥).

٣- فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض صلوات الله عليهم: وقد جمع فيه «ثناء الصحابة على القربة، وثناء القربة على الصحابة»^(٦)، وهذا الكتاب يؤيد نفى تهمة التشيع عن الدارقطني.

٤- كتاب النزول: يشتمل على ستة وتسعين حديثاً وأثراً وردت في صفة النزول.

٥- كتاب الصفات: يشتمل على ثمانية وستين حديثاً وأثراً وردت في صفات الله ﷻ وغالب أحاديث الكتابين مخرج في الصحيحين^(٧)، وانتقى الدارقطني عشرين حديثاً من كتاب الصفات وجعلها في جزء مفرد^(٨).

(١) المصدر السابق.

(٢) فهرست ابن خير (ص ٢٢٧) اختصار علوم الحديث لابن كثير (ص ٦١) فتح المغيث (١/ ٢٥٧).

(٣) الظاهرية مجموع ٣٥ (ق ١: ١٠) ومجموع ٥٦ (ق ١١٠: ١٢٣).

(٤) أطراف الغرائب والأفراد (١/ ٤٣).

(٥) المصدر السابق (١/ ٥٥).

(٦) منهاج السنة النبوية (٧/ ٣٩٦).

(٧) كتابا النزول والصفات (ص ١٥، ١٦).

(٨) الظاهرية مجموع ٩/ ١١٧ (٢٠٥: ٢١٣ ب).

٦- كتاب الرؤية: وهو كتاب حافل، جمع فيه ما ورد من النصوص الواردة في كتاب الله تعالى، وأحاديث النبي ﷺ، المتعلقة برؤية الباري ﷻ، وبعض أمور الآخرة^(١)، واشتمل على مائتين وسبعة وثمانين حديثاً.

٧- أربعون حديثاً من مسند بُريد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

٨- المستجد من فعلات الأجواد: ويُسمى أيضاً: الأسخياء. أو: الأجواد^(٢). أو: الأسخياء والأجواد^(٣).

٩- أحاديث الجهر بالبسملة في الصلاة: قال الدارقطني: وقد روى الجهر بـ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عن النبي ﷺ جماعة من أصحابه ومن أزواجه غير من سمينا، كتبنا أحاديثهم بذلك في كتاب الجهر بها مفرداً، واقتصرنا ها هنا على من قدمنا ذكره طلباً للاختصار والتخفيف، وكذلك ذكرنا في ذلك الموضع أحاديث من جهر بها من أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم والخالفين بعدهم رحمهم الله^(٤).

١٠- أحاديث الوضوء من مس الذكر: قال أبو الطيب الطبري: حضرت أبا الحسن الدارقطني، وقد قرأت عليه الأحاديث التي جمعها في الوضوء من مس الذكر، فقال: لو كان أحمد بن حنبل حاضراً لاستفاد من هذه الأحاديث^(٥).

(١) الرؤية (ص ٩١).

(٢) تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي دمشق للمالكى (رقم ٣٦٢) نشره الدكتور محمود الطحان في كتابه «الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث» (ص ٢٩٦).

(٣) مرويات الإمام الزهري المعللة (٨٢/١).

(٤) سنن الدارقطني (٣١١/١).

(٥) تاريخ بغداد (٣٨/١٢).

- ١١- أحاديث القضاء باليمين والشاهد: ذكره الأبناسي^(١) والسخاوي^(٢).
- ١٢- غرائب مالك: وهو كتاب ضخمة^(٣)، أكثر النقل عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ولسان الميزان، وقال: وعزمت أن أتبع ما في كتاب الغرائب عن مالك الذي جمعه الدارقطني، فإن فيه مما ليس في الموطأ شيئاً كثيراً، ومن الرواة كذلك^(٤).
- ١٣- صلاة التسبيح: ذكره ابن ناصر الدين^(٥) وابن حجر^(٦).
- ١٤- أحاديث الموطأ واتفاق الرواة عن مالك واختلافهم فيها زيادة ونقصاً.
- ١٥- أخبار عمرو بن عبيد وكلامه في القرآن وإظهار بدعته.
- ١٦- تصحيح المحدثين: ذكره الدارقطني^(٧)، وقال ابن الصلاح في معرفة المصحف: هذا فن جليل، وإنما ينهض بأعبائه الخذاق من الحفاظ والدارقطني منهم، وله فيه تصنيف مفيد^(٨). وقال السيوطي: أورد الدارقطني في كتاب التصحيح كل تصحيح وقع للعلماء حتى في القرآن^(٩). ونقل عنه الخطيب في جامعه^(١٠).
- ١٧- المدبج: ذكره الخطيب البغدادي^(١١)، وهو «في عشرة أجزاء»^(١٢)، والمدبج هو

(١) الشذا الفياح (١/٤١٨).
 (٢) فتح المغني (٣/٣٢٦).
 (٣) الرسالة المستطرفة (ص ١١٣).
 (٤) تعجيل المنفعة (١/٢٤٣).
 (٥) الترجيح لحديث صلاة التسبيح (ص ٤٧، ٥١، ٥٣، ٥٩).
 (٦) مجالس أمالي الأذكار في صلاة التسبيح (ص ٤٦) بتحقيق الباحث.
 (٧) المؤتلف والمختلف (٤/٢٣٠٣).
 (٨) علوم الحديث (ص ٢٧٩).
 (٩) تدريب الراوي (٢/٢٩١).
 (١٠) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/٢٩١).
 (١١) تاريخ بغداد (٦/٥٩، ٧/٣٥).
 (١٢) فهرست ابن خير (ص ٢١٦).

«رواية القرين عن القرين»^(١). قال العراقي: وأول من سماه بذلك الدارقطني فيما أعلم^(٢).

١٨ - كتاب الضبيين: ذكره الدارقطني^(٣).

مصنفاته في الاستدراك والعلل:

١٩ - الإلزامات: ذكر فيه ما حضره من الأحاديث التي يرى أنه يلزم البخاري ومسلمًا إخراجها، لأن شرطهما في الصحيحين ينطبق عليها، «وما ألزمها غير لازم لهما، فانها تجنبا التطويل، ولم يَصْعَا كتابيها على أن يستوعبا جميع الأحاديث الصحاح واعترفا بأنهما تركا بعض الصحاح»^(٤). ولعل مقصده من تصنيفه: أن يبين لأهل العلم أن شرط الشيخين في الصحيحين يمكن تحقيقه والعمل على منواله، فاجتهد في تقرير قواعد لتخريج الأحاديث على شرطهما أو شرط أحدهما، والتمثيل لذلك من حديث التابعين ثم الصحابة، لتكون دليلاً لمن أراد أن يسلك مسلكهما ويحذو حذوهما، وربما كان هذا الكتاب هو الداعي لتلميذه أبي عبد الله الحاكم إلى تصنيفه كتابه «المستدرك على الصحيحين»، وقد بلغ عدد أحاديث «الإلزامات» سبعين حديثاً حسب تخريج المحقق، وظنى أنها تربو على المائة، لو تم استيعاب الأحاديث التي أشار إليها المصنف.

٢٠ - التتبع: ذكر فيه «أحاديث معلولة اشتمل عليها كتابا البخاري ومسلم أو أحدهما، ويبيّن عللها والصواب منها»^(٥)، وجملة أحاديث الكتاب ثمانية عشر ومائتي حديث، منها عشرة مكررة، وسبعة ذكرها لإلزام من لم يخرجها من الشيخين، وواحد ليس في الصحيحين،

(١) تدريب الراوى (٢/٢٤٦).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٤٧).

(٣) المؤلف والمختلف (٣/١٦٧٩، ١٧٠٨).

(٤) صيانة صحيح مسلم (ص ٩٣) وانظر شرح النووي على مسلم (١/٢٤).

(٥) التتبع (ص ١٤٥).

وبذلك تكون عدة الأحاديث التي انتقدها الدارقطني على الصحيحين مائتي حديث^(١). ويُعد الدارقطني من أوائل الذين صنفوا في بيان العلل الواقعة في الصحيحين، والعلل التي ذكرها «ليست كلها قاذحة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر، والقدر فيه مندفع، وبعضها الجواب عنه محتمل، واليسير منه في الجواب عنه تعسف»^(٢). واستثنى أهل العلم هذه الأحاديث المتقدمة مما حكموا به لأحاديث الصحيحين من إفادة العلم النظري^(٣)، لعدم الإجماع على تلقيها بالقبول^(٤)، وللدارقطني كتاب آخر في هذا الموضوع، نقل منه ابن حجر في هدى الساري^(٥)، ولعل أبا مسعود الدمشقي^(٦) قصد الرد عليه في كتابه: «الأجوبة عما أشكل الشيخ الدارقطني على صحيح مسلم بن الحجاج»، فإن غالب الأحاديث التي أجاب عنها ليست في التتبع.

٢١- الأحاديث التي خولف فيها مالك بن أنس: وفي تضاعيفها أحاديث حدث بها مالك في الموطأ على وجهه، وحدث بها في غير الموطأ على وجه آخر، وأورد الدارقطني في كتابه هذا الأحاديث التي خولف فيها مالك، سواء كان الصواب معه، أو كان مع مَنْ خالفه، وقد يكون الصواب معها إذا أمكن الجمع بين الروايات.

٢٢- العلل الواردة في الأخبار النبوية: «وهو أجلُّ كتاب وضع في هذا الفن، لم يُسبق إلى

(١) خاتمة التتبع (ص ٥٠٨) وشرح النووي على مسلم (١/ ٢٧).

(٢) هدى الساري (ص ٣٨٣). (٣) علوم الحديث (ص ٢٩).

(٤) هدى الساري (ص ٣٤٦). (٥) المصدر السابق (ص ٣٦٠).

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن عبيد أبو مسعود الدمشقي، الحافظ المجود البار، كان صدوقاً ديناً، ورعاً فهِماً سافر الكثير، وكتب ببغداد والبصرة والأهواز وواسط وخراسان وأصبهان، وجمع فأوعى، ولكنه مات في الكهولة قبل أن ينفق ما عنده، وكان له عناية بالصحيحين، فصنف «أطراف الصحيحين» و«الأجوبة». مات سنة ٤٠١ هـ، وصلى عليه أبو حامد الإسفراييني ببغداد. تاريخ بغداد (٦/ ١٧٢) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٢٧). وقال الدارقطني: اجتمعت بأبي مسعود فتذاكرنا معه الصحيحين ومشينا معه، ثم فتحنا عليه جواب غرائب فلم يوجد. النكت على ابن الصلاح للزركشي (١/ ٢٨٧).

مثله، وقد أعجز من يريد أن يأتي بشكله، فرحمه الله وأكرم مثواه، ولكن يُعوزُه شيء لا بد منه، وهو أن يُرتب على الأبواب، ليقرب تناوُلُه للطلاب، أو أن تكون أسماء الصحابة الذين اشتمل عليهم مرتبين على حروف المعجم، ليسهل الأخذ منه فإنه مبدّد جدًّا، لا يكاد يهتدي الإنسان إلى مطلوبه منه بسهولة^(١). وقد ختم الدارقطني معرفة العلل^(٢).

مصنفاته في الانتقاء والتخريج:

كان طلاب الحديث إذا سمعوا من المحدث، وأرادوا الاقتصار على كتابة بعض حديثه، سمّوا ذلك انتخابًا وانتقاءً، واستحب المحدثون ذلك لمن كان قادرًا على «تمييز المُعاد من حديث شيخه، وما يُشارك في روايته مما يتفرد به، وإلا فالأولى أن يكتب حديثه على الاستيعاب دون الانتقاء والانتخاب»^(٣). وكان مَنْ لا يستطيع القيام بالانتقاء لنفسه «يستعين ببعض حفاظ وقته، على انتقاء ما له غرض في سماعه وكتبه»^(٤). وقد اشتهر جماعة من المحدثين بحسن الانتقاء، فكان علماء الحديث وطلابه يقصدونهم، فيستفيدون بانتقائهم ويكتبون بانتخابهم، ومن أبرز هؤلاء جميعًا الإمام الدارقطني، فكتب الناس بانتخابه عن كثير من مشايخ عصره، لحسن انتقائه، واشتماله على ما يحتاجونه، «فكان انتخابه يشتمل على نوعين: الصحاح والمشاهير، والغرائب والمناكير، ويرى أن ذلك أجمع للفائدة، وأكثر للمنفعة»^(٥)، وقد يجمع الدارقطني بين الانتقاء والكلام على الأحاديث، وعزوها لمن رواها من أصحاب الكتب والدواوين، ولمّا اشتهر به الدارقطني من حسن الانتقاء استعان به الوزير ابن حنّابة ودعلج السجزي في تخريج كتبهم.

(١) اختصار علوم الحديث (ص ٧٠).

(٢) فتح المغيث (٤/٣٥٩) والنكت للزركشي (٣/٤٤٨).

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (٢/١٥٥).

(٤) المصدر السابق (٢/١٥٦). (٥) المصدر السابق (٢/١٥٨).

٢٣- الفوائد المنتخبة الغرائب العوالي من حديث أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكى النيسابوري (ت ٣٦٢هـ)، وهي المعروفة بالمزكيات، انتقاء الدارقطني.

٢٤- حديث أبي الطاهر: محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر الذهلي القاضي (ت ٣٦٧هـ)، انتقاء أبي الحسن الدارقطني.

٢٥- فوائد أبي علي: محمد بن أحمد بن الحسن الصواف (ت ٣٥٩هـ)، انتقاء أبي الحسن الدارقطني.

٢٦- رباعيات الغيلانيات: والغيلانيات هي: فوائد أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي البزاز (ت ٣٥٤هـ)، وعُرفت بالغيلانيات لأنها من رواية أبي طالب محمد بن محمد بن غيلان البزاز (ت ٤٤٠هـ) وكان قد تفرد في الدنيا بعلوها، قال ابن الأثير: وهو راوى الأحاديث المعروفة بالغيلانيات التي خرجها الدارقطني له وهي من أعلى الحديث وأحسنه^(١). ١هـ. ولم يُذكر في نسخ الغيلانيات ما يدل على أنها من تخريج الدارقطني، وإنما خرج منها «الأحاديث الرباعيات»^(٢)، قال الذهبي في ترجمة أبي بكر الشافعي: وقد انتقى عليه الدارقطني رباعياته في جزء كبير سمعناه^(٣). ١هـ.

٢٧- رسالة إلى طاهر بن محمد الخاركي: كان الحافظ عمر بن جعفر البصري (ت ٣٥٧هـ) من المشهورين بالانتقاء، «وكان معظم انتخابه الأحاديث المشهورة، والروايات المعروفة، خلاف ما يتخيره أكثر النقاد من كتب الغرائب والأفراد»^(٤). قال الخطيب البغدادي: وقد كان أبو الحسن الدارقطني يتتبع خطأ عمر البصري فيما انتقاه على أبي بكر

(١) الكامل (٩/ ٥٥٢).

(٢) الظاهرية حديث ٣٥٩ (ق ٩٢: ١٠٨) ومجموع ٧٣ (ق ١٧: ٢٧).

(٣) السير (١٦/ ٤٢).

(٤) الجامع لأخلاق الراوى (٢/ ١٥٧).

الشافعي خاصة، وعمل فيه رسالة إلى طاهر بن محمد الخاركي، ونظرت في الرسالة واعتبرتها، فرأيت جميع ما ذكره أبو الحسن من الأوهام يلزم عمر غير موضعين أو ثلاثة. وسمعت أبا بكر البرقاني يقول: كان عمر قد انتخب على ابن الصواف - أحسبه قال - نحوًا من عشرين جزءًا. فقال الدارقطني: ينتخب على ابن الصواف هذا القدر حسب؟ هو ذا أنتخب عليه تمام المائة جزء، ولا يكون فيما أنتخبه حديث واحد مما أنتخبه عمر. ففعل ذلك. وسمعت غير البرقاني يذكر أن هذه القصة كانت في الانتخاب على أبي بكر الشافعي لا ابن الصواف، وذلك أشبه، والله أعلم^(١).

٢٨- مسند الوزير ابن حنابلة: قال الخطيب في ترجمة ابن حنابلة: فإنه كان يريد أن يصنف مسندًا، فخرج إليه أبو الحسن وأقام عنده مدة يصنف له المسند^(٢).

٢٩- المسند الكبير لدعلج السجزي: قال الدارقطني: صنف لدعلج المسند الكبير فكان إذا شك في حديث ضرب عليه، ولم أر في مشايخنا أثبت منه^(٣).

٣٠- الفوائد لأبي بكر أحمد بن يوسف بن خلاد العطار (ت ٣٥٩هـ)، اختيار أبي الحسن الدارقطني^(٤).

٣١- الفوائد المنتقاة عن الشيوخ العوالي لأبي الحسين محمد بن المظفر بن موسى البزاز (ت ٣٧٩هـ) منه مختارات للدارقطني^(٥).

٣٢- الفوائد المنتقاة الحسان لأبي محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف البغدادي (ت ٣٨١هـ)، انتقاء على بن عمر الدارقطني^(٦).

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٢٤٤، ٢٤٥). (٢) تاريخ بغداد (٧/ ٢٤٣).

(٣) المصدر السابق (٨/ ٣٨٨).

(٤) الظاهرية مجموع ٥٦ (١٢١: ٢٢٥ ب) كذلك حديث ٢٩٧ (ق ٤٣: ٥٨).

(٥) الظاهرية مجموع ٨٠ (٨٣: ٩٠ ب).

(٦) الظاهرية حديث ٣٨٧ (٣١: ٣٥ ب) القرن السابع الهجري.

٣٣- أحاديث البرهاري: وهو محمد بن الحسن بن كوثر أبو بحر البرهاري (ت ٣٦٢هـ)، انتخاب أبي الحسن الدارقطني^(١). قال الدارقطني: اقتصروا من حديث أبي بحر على ما انتخبته حسب^(٢).

٣٤- الفوائد المنتخبة من حديث أبي عمر: محمد بن العباس بن زكريا المعروف بابن حيويه (ت ٣٨١هـ) بتخريج الدارقطني^(٣).

٣٥- فوائد أبي على حامد بن محمد الهروي (ت ٣٥٦هـ)، انتخاب الدارقطني^(٤).

مصنفاته في الرجال:

٣٦- الضعفاء والمتروكون: وله مقدمة لم تطبع معه، نقل منها السيوطي في مواضع من كتابه «تحذير الخواص»^(٥).

٣٧- سؤالات أبي عبد الله بن بكير (ت ٣٨٨هـ) وغيره لأبي الحسن الدارقطني في ذكر أقوام أخرجهم البخاري ومسلم بن الحجاج في كتابيهما، وأخرجهم أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي في كتاب «الضعفاء».

٣٨- سؤالات الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) للإمام الدارقطني في الجرح والتعديل.

٣٩- سؤالات أبي عبد الرحمن السلمى (ت ٤١٢هـ) للدارقطني في الجرح والتعديل.

٤٠- سؤالات حمزة بن يوسف السهمي (ت ٤٢٥هـ) للدارقطني وغيره من المشايخ في

الجرح والتعديل.

(١) كوبرلي (٢٠٩/١) (٦/٤٠٠)، ق ٦٣: ٦٧ ب) ضمن مجموع ق ٧هـ.

(٢) تاريخ بغداد (٢/٢١٠).

(٣) الظاهرية مجموع ٦٢ (٢٦: ١٣٢ ب، ٥٢٥هـ) وكذلك مجموع ٤/٨٥ (٣٨: ٩٥ ب) القرن السابع

الهجري، ٩٣ (١: ١٧، ٤٥٤هـ) تحت عنوان «حديث ابن حيويه بتخريج الدارقطني».

(٤) الظاهرية مجموع ٤٥ (١٥: ١٣٠).

(٥) تحذير الخواص (ص ٧٦، ٨٤، ١٠٧، ١٣٩، ١٤٩).

٤١- سؤالات البرقاني (ت ٤٢٥هـ) للدارقطني في الجرح والتعديل.

٤٢- المؤلف والمختلف: في الأسماء والكنى والأنساب التي يقع فيها التشابه، وكثيراً ما يستطرد فيذكر ما يأتلف ويختلف في أسماء القبائل، وقد يتطرق إلى أنسابها، ومن ينتسب إليها من المحدثين والرواة، والمشاهير من الشعراء والفرسان والقواد^(١). وهو يُعد من أفضل المصنفات في بابهِ، وتلميذه الحافظ عبد الغني وإن سبقه إلى ذلك، فإن غالب مادة كتابه أخذها منه شفاهة كما تقدم^(٢).

٤٣- الإخوة والأخوات: ذكر فيه الإخوة من صحب النبي ﷺ وروى عنه أو رآه ولم يرو عنه، أو ولد في عهده، أو ولد أخوه بعد وفاة النبي ﷺ من الرجال والنساء.

٤٤- تعليقات على كتاب المجروحين لابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ). تتبع فيها أوهام ابن حبان في الكتاب، واستدرك عليه بعض الأحاديث المستنكرة للرواة المترجم لهم، وتكلم عن بعض الرواة جرحاً وتعديلاً، وشرح بعض الكلمات الغريبة، وغير ذلك مما تضمنته هذه التعليقات، والدارقطني يروى عن ابن حبان كتاب المجروحين إجازة^(٣)، ولم يرو عنه في السنن شيئاً.

٤٥- ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحّت روايته من الثقات عند البخاري ومسلم: وقد جعله الدارقطني في قسمين: القسم الأول: ذكر أسماء من اشتمل عليه كتاب محمد بن إسماعيل البخاري الجامع للسنن والصحاح عن رسول الله ﷺ من التابعين فمن بعدهم إلى شيوخه على حروف المعجم. القسم الثاني: ذكر أسماء من اشتمل عليه كتاب مسلم بن الحجاج الملقب بالصحيح من التابعين فمن بعدهم على حروف المعجم.

(١) المؤلف والمختلف (١/ ٨٥).

(٢) راجع (ص ٣٣) من هذا البحث.

(٣) تاريخ بغداد (٩/ ٣٠٥، ٣٢٩).

٤٦- أسماء الصحابة التي اتفق فيها البخاري ومسلم، وما انفرد به كل واحد منهما^(١): وفي بعض النسخ: رسالة في أسماء الصحابة^(٢). ولعل هذا الكتاب مع الذي قبله كتاب واحد هو: «رجال البخاري ومسلم»^(٣) تفرقت أقسامه.

٤٧- أسماء المدلسين: ذكره ابن حجر^(٤).

٤٨- من حدث ونسى: ذكره السيوطي^(٥).

٤٩- الرواة عن مالك بن أنس: ذكره الخطيب والسخاوي^(٦).

٥٠- الرواة عن الشافعي: ذكره الشيرازي وابن حجر^(٧).

هذا ما تيسر التحقق منه من مصنفات الدارقطني، وقد زاد الدكتور موفق بن عبد الله مصنفات أخرى^(٨)، تحتاج إلى بحث ونحرّ، وليس هذا من مجال بحثنا، وقد وقفت عَرَضًا على أوهام له فيما زاده، وقد ذكر الدكتور عبد الله دمنو بعضها^(٩)، وإليك بعض الأوهام التي لم يتطرق إليها:

١- ذكر الدكتور موفق برقم (٣) «أحاديث الموطأ». وبرقم (٦) «اختلاف الموطآت». وبرقم (٩) «أطراف موطأ الإمام مالك». وبرقم (١٠) «أطراف مراسيل موطأ مالك»، والأربعة

(١) دار الكتب المصرية (١٨/٨) ٨٠١ مجاميع، ١٠٣ ورقة، ١٠٦٠ هـ.

(٢) جامعة الإمام محمد بن سعود (٣/١/٤٠٠) (٢٢٧٦، ٢، و، ١٣٢٠ هـ).

(٣) جامعة الإمام محمد بن سعود (٣/١/٣٩٢) (٧٢٢، ٤٠، و، ٨ هـ تقريبًا).

(٤) طبقات المدلسين (ص ١٤).

(٥) تدريب الراوي (١/٣٣٦).

(٦) الموضح لأوهام الجرح والتعديل (١/٤٠٠) الإعلان بالتويخ (ص ١١٧).

(٧) طبقات الفقهاء (ص ١٠٣) تهذيب التهذيب (١/٩٠).

(٨) مقدمة تحقيق المؤلف والمختلف (١/٤١: ٥٦).

(٩) مرويات الإمام الزهري المعللة (١/٨٢: ٨٦).

تسميات لكتاب واحد، ففرّق ما حقه أن يجتمع.

٢- ذكر برقم (١٢) «أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته من الثقات عند البخاري ومسلم». وبرقم (١٤) «أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عند مسلم». والثاني قسم من الأول.

٣- ذكر برقم (٢٢) «الجرح والتعديل» وعزاه إلى «تهذيب التهذيب»، وبالرجوع إلى المواضع المحال إليها وغيرها، وجدتُ أن جميع أقوال الدارقطني التي عزاه ابن حجر لهذا الكتاب، ثابتة في سؤالات تلاميذ الدارقطني له في الجرح والتعديل، فلعل الحافظ كان يلجأ لهذا التصرف، عند عدم استحضاره لاسم صاحب السؤالات.

٤- ذكر برقم (٢٦) «خماسيات السنن» وهذا ليس من تصنيف الدارقطني^(١) وحقّه أن يُذكر في المصنفات التي اعتنت بالسنن.

٥- ذكر مصنفات في الانتقاء بالأرقام (٦٠، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٧١) اخترع لها تسميات من عند نفسه، معتمداً على قول الخطيب أو غيره في ترجمة الشيخ: وكتب الناس عنه بانتخاب الدارقطني. فإن كان هذا التصرف مقبولاً فقد فاتته عشرة مصنفات، لأن الخطيب ذكر في تراجم عشرة شيوخ غير هؤلاء أن الناس كتبوا حديثهم بانتخاب الدارقطني^(٢)، وإن كان تصرفه غير مقبول، فتُحذف جميع هذه المصنفات.

(١) الرسالة المستطرفة (ص ٩٩).

(٢) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤) (٤/ ٣١٦) (٥/ ٦٤، ٤٦٦) (٦/ ١٨، ١٧٠، ٤٠١) (١٠/ ٣٦٤، ٤٣٠) (١٢/ ٩٣).